صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد السادس

المجلة الجديدة

العدد السادس
من
السنة السادسة

يونيو ١٩٣٧

سير الحوادث

كان الشهر الماضى حافلا بالحوادث الجسام فى تاريخ مصر . فقد الغيت الامتيازات وانضمت مصر الى عصبة الامم وعن قريب سيتم الغاء صندوق الدين . وبهذه الاجراءات لا يتم لمصر استقلالها الذى فقدته سنه ١٨٨٢ فقط بل هى تسترد استقلالها الذي افقدها بعضه الخديو اسماعيل بتهوراته المالية التى اثمرت صندوق الدين والرقابة الاجنبية كما استعاد اليها حريتها فى معاملة الاجانب التى قيدت منذ ايام احتلال الاتراك لمصر سنة ١٥١٧ لان الامتيازات الاجنبية ترجع الى ذلك التاريخ . فنحن منذ الان احرار فى فرض الضرائب على الاجانب وفى ايجاد مجلس بلدى للقاهرة وفى غير ذلك من الاعمال التى كنا الى الآن عاجزين عن القيام بها لقيود الامتيازات

وكل مصرى الآن مسئول امام نفسه وامام العالم على ان يعم العدل بلاده وعلى الا يثب طاغية الى كراسى الحكم وعلى ان تكون مصر خادمة للرقى البشرى العام كما هو مسئول عن حرية المرأة وحقوق العامل وعن الصحة العامة والثقافة العصرية . وهو اذا قدر كل ذلك صار استقلال مصر كسبا للحضارة . اما اذا وقعت البلاد فى ايدي الرجعيين ووضع الاوباش السلاسل على ابواب البرلمان واعيدت السخرة الى الفلاح فان استقلالنا عندئذ لا يعد كسبا للحضارة بل خسارة عليها . فلنجاهد الرجعيين كما جاهدنا الانجليز بل باشد مما جاهدنا الانجليز . فان الانجليزى كان عدوا متمدنا ولكن الرجعى عدو متوحش

محنة اسبانيا

لا تزال اسبانيا تأكل نفسها ويناحر ابناؤها . وقد مضى على الثورة الى الان اكثر من عشرة اشهر والثوار يستولون على اكثر من نصف اسبانيا ولكن ليس هناك مع ذلك ما يومىء الى

انتصارهم التام . فان الوزارة الاسبانية بعد ثورة الفوضويين قد استقالت والفت وزارة جديدة برياسة الدكتور نيجرين وهو اشتراكي معتدل (وفي الاصل عالم بيولوجي) وليس في الوزارة الجديدة فوضوي واحد . فهي من حيث اللون السياسي اشتراكية معتدلة .ولكن يخشى ان يقوم الفوضويون بثورة جديدة لحرمانهم من كراسي الحكم . وخاصة لان الوزارة شرعت تنزع منهم السلاح وعندئذ يسهل على فرانكو ان يتغلب على الحكومة

وبلباو في الشمال حيث الباسكيون توشك ان تسقط. فاذ انتهى فرانكو منهم امكنه ان يوجه قوات كبيرة هي الان مربوطة حول بلباو الى الجبهة الشرقية لمقاتلة الحكومة : وعندئذ ترجح كفته . ولكن الانتصار سيبقى مع ذلك بعيدا ما لم ينشق الحكوميون على انفسهم. وهذا الانشقاق يخشى منه كثيرا لان الفوضويين حاقدون على الوزارة الاسبانية الجديدة

وتجرى مساع مختلفة لعقد هدنة بين الحكومة والثوار .ولكن من البعيد جدا ان تقبل الحكومة وقف القتال لانها تنتظر النصر بقوة ما لديها من الاموال اذ عندها ما لا يقل عن سبعين او ثمانين مليون جنيه . وقد اقيمت رقابة من الدول الكبرى لمنع المتطوعين الاجانب من الالتحاق بجيوش الحكومة او جيوش الثائرين وهي ناجحة في هذا المنع . وهذا النجاح يقوى الامل عند الحكوميين بالنصر

احتراق هندنبورج

من فواجع الشهر الماضي احتراق البلون الالماني هندنبورج الذي كان يسافر بين اوربا وامريكا وقد قتل فيه ٣٤ منهم قائده الباسل ارنست ليمان . ولم تعرف الى الان اسباب احتراقه وقد صرح الطيار اكنر بانه لن يستعمل غاز الهيدروجين في المستقبل لانه يشتعل. وسيستعمل بدلا منه غاز الهليوم وهو اغلى منه ثلاثين ضعفا . ومما يدل على همة الالمان ان الجنرال جورنج في غداة احتراق البلون هندنبورج امر ببناء بلون جديد

في الخارج

استقال المستر بولدوين من رياسة الوزاره الانجليزية واخذ مكانه المستر نفيل تشمبرلن

مات روكفلر ملك البترول في الولايات المتحدة بعد ان قارب المائة . ويقال ان تبرعاته للبر قد بلغت نحو ١٥٠ مليون جنيه

شعرت ايطاليا بخطر المباراة في القوة الحربية مع بريطانيا فاقترح موسوليني على الرئيس روزفلت عقد مؤتمر لتحديد السلاح

مجلة للعلوم

يجدر بالحكومة المصرية ان تتأمل بعض المجلات التي تصدرها الحكومات . فان مجلة «البحث

والتقدم» من المجلات الالمانية التى تصدرها الحكومة لكى يقف الجمهور على التقدم العلمى بالوانه المختلفة . وامامنا العدد الاخير وبه من المقالات . « مهاجرات السلالات البشرية » و«التأثيرات البيولوجية» للكئول فى التمثيل الغذائى) و «انتاج البترول فى العالم » و « علاقه السكرى بالغدة النكفية » و « الهيموفيليا » وهل هى مرض وراثى الخ

وهذه المجلة تنشر الابحاث التى تقوم بها المعامل الالمانية . وهى لا تقتصر على علم معين بل تتناول جميع العلوم . ويحسن حكومتنا لو درست هذه الفكرة وأصدرت مجلة عامة للعلوم

فرح انطون

فى الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاما . ويحسن برجال الادب الذين يعرفون فضل هذا الاديب العظيم فى النهضة الحاضرة ان يحتفلوا به . فان فى الاحتفال تنويها بالوان التجديد التى قام بها فى توجيه الادب الحديث نحو الثورة واعترافا بفضله على التفكير المصرى ونحن لا نعرف اديبا ممن يؤبه بهم فى مصر لم يتأثر بأحسن التأثيرات من فرح انطون . وكثير من النزعات الحسنة فى ادبنا يعود اليه . وقد كان دأبنا فى كل فرصة ان نعترف بفضله ولذلك نحن ننتهز الفرصة الحاضرة لتنبيه الوجدان الادبى فى مصر الى ضرورة الاحتفال بمرور خمسة عشر عاما على وفاته





صاحب الجلالة الملك جورج السادس وصاحبة الجلالة الملكة

وقد تم تتويجهما فى الشهر الماضى بين مظاهر الفرح العامة بين الشعب البريطانى

اختلاط الجنسين

للاستاذ صلاح الدين كامل

عند ما قال الدكتور طه حسين — فى سياق الرد على دعاة تلك الحركة السخيفة الطائشة التى قامت تطالب بالفصل بين الفتيان والفتيات فى الجامعة — أنه ليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ما يحرم اختلاط الجنسين ، قام الرجعيون من رجال الازهر وقعدوا وتوالت مقالاتهم على صفحات الجرائد والمجلات طويلة متشابهة مملة طنانة جوفاء . والآن وقد أفرغوا كل مافى جعبتهم وهدأت العاصفة ، ها أنا ذا أعيد كافة ما قدموه من أدلة موضحا أن ليس فيها دليل حقيقى واحد على أن الاسلام يحرم الاختلاط

ويجب أولا فى مثل مانحن بصدده من بحث أن نميز الفارق الكبير بين ماورد فى القرآن الكريم وماورد فى الحديث النبوي الشريف . فالقرآن ثابت « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » نزله الله على عباده وحفظه من عبث العابثين « انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » وما ورد فيه على المسلمين أن يتبعوه . أما الاحاديث النبوية فمعلوم أنه قد اختلق منها الكثير مما يجعلنا فى حل من أن لا نقبل كل حديث يأتينا به سادتنا الرجعيــون إلا بعد الفحص والتمحيص ، لا على ضوء النظرية القديمة فقط من « علم الحديث » التى تعتمد فى التثبت من صحة الحديث على تعدد الرواة أو الثقة بهم ، وانما أيضا على ضوء النظرية السيكولوجية الحديثة التى تقضى علينا بأن لا نقبل حديثا مرويا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم يلتئم مع البيئة والظروف التى أحاطت بمحمد ويتناسب مع ماعرف عن نفسيته السامية وعقليته العالية وأسلوبه الحكيم فى الاقوال والافعال . كما أنا يجب ألا نهمل فى بحثنا عن حقيقة تعاليم ديننا الاسلامى تلك الحوادث والاخبار التاريخية المعروفة فى صدر الاسلام .

* * *

لم يأت لنا جماعة الازهريين الذين تعرضوا للرد على الدكتور طه حسين ، رغم شــدة تعجبهم من قوله أن الاسلام لايحرم اختلاط الجنسين واتهامهم اياه تارة بالجهل وتارة بالمغالطة ، سوى بآيتين اثنتين من القرآن زعموا أنهما تقضيان بتحريم الاختلاط . وهاتان هما الآيتان:

« يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفوراً رحيما »

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولايبدين زينتهن إلا ماظهر منها »

وأظنني لست فى حاجة الى التدليل على أن هاتين الآيتين ليس فيهما سوي الدعوة الى الاحتشام والعفة والنهى عن التبرج والتهتك . وليست الجامعة دار تبرج وتهتك وليس التبرج والتهتك موضوع مابيننا وبين دعاة الفصل بين الجنسين من خلاف

أما استشهاد بعض الاساتذة الاعلام على أن القرآن يحرم الاختلاط بتلك الآية التى تقرر مبدأ من مبادىء الاداب العامة فى الاسلام وهى : « ياأيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا » وقولهم فى ذلك أن ليس النهى عن الدخول قبل الاستئذان للخوف على الجدران أن تنهار ولا على الارض أن تميد وانما هو لئلا يقع النظر على النساء !... فهو منطق غريب كأن البيت الذى ليس به نساء يحق لكل انسان ان يدخله دون استئذان !!

وأما استشهاد البعض على تحريم الاختلاط بآية : « ولا تقربوا الزنا ... » بحجة أن الله عند ما نهى عن الزنا جعل النهى منصبا على كل مايؤدى اليه وأن الاختلاط يؤدي الى الزنا ، فهو منطق أغرب وتعسف ظاهر لايحتاج الى نقاش

(*)

أما الاحاديث النبوية التى استشهد بها على منع الاختلاط فهى كثيرة ويجب أن نأخذها بحذر لما قدمت فى صدر كلامى من أسباب . وأهم هذه الاحاديث هى الآتية :

« قال النساء للنبي . غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك . فوعدهن يوما لقيهن فيه فوعظهن » وهذا الحديث يؤيد رأينا فى جواز الاختلاط ولا يؤيد العكس ، اذ أنه يدل على أن النساء كن يجتمعن مع الرجال حول النبى لسماع وعظه دون أن ينهاهن النبى عن ذلك . ولكن بعضهن تضايق من زحام الرجال واستيلائهم على المجلس ، فطلبن الى النبي أن يخصص لهن يوما حتى تتسع لهن الفرصة لسماع كل مايقول وسؤاله والاستفهام منه عما يغمض عليهن ، فوعدهن النبي بذلك وأنجز وعده وكان طبيعيا أن يفعل النبي ذلك بحكم أدبه واحترامه للمرأة وحرصه على تفهيم التعاليم التى أتى بها للرجال والنساء على السواء

« لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لاتحل له » وظاهر أن المقصود بهذا الحديث هو الدعوة الي العفة ، واللمس المشار اليه فيه ليس اللمس بمعناه اللغوى الضيق وهو مايحدث فى المصافحة أو جلوس رجل الى جانب سيدة مثلا ، وانما هو اللمس الذى

يتنافى مع العفة أو اللمس بالمعنى المفهوم من قوله تعالى فى سورة مريم . « قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا »

« لأن يزاحم الرجل خنزيراً متلطخا بطين أو حمأة خير له من أن يزاحم منكبه امرأة لا تحل له » واذا صح هذا الحديث

فليس المقصود به هو المزاحمه التى تأتى عفوا من وجود الرجال والنساء فى مكان واحد ، وانما قصد به ولاشك النهى عن التحكك بالنساء عمدا وانتهاز فرصة الزحام لهذا التحكك كما يحدث عندنا فى زحام الموالد مثلا ، وهو مايشاهده بطبيعة الحال اخواننا الأزهريون

« كان الفضل رديف رسول الله معه فجاءت امرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر » وطبيعى أن يفعل النبى ذلك وأن يتضايق من أن يتخذ من مجلسه مكانا للمغازلة أو مايشبه المغازلة . ولا ادري ماهو وجه الدليل على منع الاختلاط من هذا الحديث !

« أجيعوا النساء جوعا غير مضر واعروهن عرياً غير مبرح . لأنهم اذا سمن وا كتسين فليس شىء أحب اليهن من الخروج وليس شىء شرا بهن من الخروج . أما اذا أصابهن طرف من العرى والجوع فليس شىء أحب اليهن من البيوت وليس شىء خيرا لهن من البيوت » والشخص الذى درس أحكام الاسلام فيما يتعلق بالمرأة وقرأ ولو قليلا من سيرة محمد وأحاديث محمد يكاد يجزم بعدم صحة هذا الحديث . اذ لايعقل أن يقول محمد كلاما مثل هذا فيه منتهى الامتهان للمرأة التى رفع مكانتها وقرر شخصيتها . فضلا عما فيه من المخالفة لروح القرآن وتعاليمه وقد جاء فيه « ومن اياته أن خلق لـكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

أما الاستدلال على منع الاختلاط بين الجنسين بحديث الرسول فى النهى عن بقاء النساء بجانب القبور « أرجعن مأزورات غير مأجورات » بحجة أن هذا النهى لم يكن طبعا للخوف عليهن من الاموات وانما لمحظورات أخرى أوضحها تعرضهن للاجانب ! . . . . أو القول بان علماء الأسلام قد أجمعوا على أن لا تبدى المرأة للطبيب من جسمها الا بمقدار ما تمس الحاجة، كأن دعاة الاختلاط يقولون ان على المرأة التى تذهب الى الطبيب لعمل حقنة فى ذراعها مثلا أن تتجرد من كل ثيابها ! . . . الى آخر تلك السفسطة التى ملأ بها اساتذتنا الاعلام صفحات الجرائد والمجلات .... فهى أشياء يصح أن تورد من باب التفكه لا على انها كلام جدى يستحق الرد عليه

واذا رجعنا الى الحوادث والاخبار المتواترة عن صدر الاسلام ، لوجدنا الدليل ساطعا على ان المرأة فى هذا العصر الزاهر كانت تختلط بالرجل ولم تكن لتعرف هـذا الحجـاب الذي ساد فى عهد

انحطاط المسلمين وتدهورهم والذى يريد سادتنا الرجعيون أن يجعلوه — زورا وبهتانا — جزءاً لايتجزأ من الدين

ومن المعروف أن نساء المسلمين كن يخرجن فى غزوات النبى وفى فتوحات المسلمين الاولى ليشجعن الرجال على الحروب ويضمدن جروح المصابين ويقمن بالتمريض والمواساة ، وهو شىء لم يعترف به للمرأة الانجليزية الا فى سنة ١٨٧٠ فى أثناء حرب القرم عقب ذلك الجهاد العنيف النبيل التى قامت به الآنسة نيقتنجيل كما هو معروف فى التاريخ الحديث ! فهل هذا يدل على ان الاسلام يقضى بحجاب المرأة ومنع اختلاطها ؟!

ومن الحوادث المعروفة حادثة تلك المرأة التى ناقشت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى المسجد حول مسألة تتعلق بحكم الاسلام فيما تأخذ النساء من مهور وقد أفحمت تلك المرأة عمر بالحجة حتى قال : « لقد أخطأ عمر وأصابت امرأة » فهل مثل هذا الحادث يعد دليلا على أن نساء المسلمين كن محجبات لا يختلطن بالرجال ولا يعرفن من أمور الحياة سوى ما يتعلق بشؤون البيت ؟

كانت عائشة أم المؤمنين زوج النبى وابنة أبى بكر الصديق فقيهة وعالمة يلجأ اليها المسلمون من كل صوب يتلقون منها أصول الدين ، وقد قال النبى فى حياته مشيرا اليها « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » كما كانت فوق ذلك خطيبة وقائدة ، ومن اشهر خطبها خطبتها فى مكة على أثر قتل عثمان مطالبة بدمه ، وهى تلك الخطبة التى جمعت على أثرها جيشا عدده ثلاثون الفا قادته بنفسها فى قتال على فى واقعة الجمل المشهورة ! فهل يعقل أن تفعل عائشة كل ذلك وهى متحجبة منزوية لا ترى أحدا من الرجال ولا يراها احد ؟!

وكانت السيدة سكينة بنت الحسين من أوفر النساء ذكاء وكمالا وأدبا ومن اكثرهن جمالا وأناقة وظرفا . وكان بيتها صالونا من افخم وأزهى الصالونات الادبية يؤمه صفوة رجال الآداب والفنون يستفيدون من سعة اطلاعها وحصيف نقدها ويأتنسون بأدبها وظرفها ، فهل كانت السيدة سكينة تستقبل الزائرين من الشعراء والأدباء وغيرهم الذين كانوا يفدون على منزلها من جميع الأنحاء وهى مختفية من وراء حجاب ؟!

واكتفى بهذه الامثلة القليلة التى شرحتها فى اقتضاب للتدليل على أن المسلمين من صدر الاسلام ما كانوا يعرفون الحجاب بالمعنى الذى فسره به بعض الفقهاء فيما بعد والذى يريد الجامدون ان لا نحيد عنه ولو قضينا فى سبيل ذلك على مظهر من مظاهر التقدم فى البلاد !

صلاح الدين كامل

أدب الرافعي وكتبه

دراسة سريعة — بقلم الاستاذ اسعد حسنى

سئل مرة « برناردشو » الكاتب الانجليزي الاشهر ، عن الاديب فقال : « هو من يستطيع أن يخلق الحياة من العدم ، كما تخلق الطبيعة سواء بسواء .. بل هو من يفضلها ويسمو عليها فاذا كانت الطبيعة قد خلقت الانسان ، فعليه هو وحده أن يخلق السبرمان ... » !

وعلى هذه القاعدة نتناول بالحديث المرحوم الاستاذ الرافعي ـ طيب الله ثراه ـ كأديب ، ونعالج الكلام عن مدى ما خلفته كتبه الكثيرة من الاثر في النفوس ، ومدى ما تنطوي عليه هذه الكتب من مظاهر الحيوية والبقاء ...

ونحن نحب قبل كل شيء أن نقررهنا في سياق هذه الدراسة العاجلة فداحة الخسارة التي منيت بها أسرة « الادب القديم » بوفاة السيد مصطفى الرافعي . فقد كان رحمه الله من أعلامه البارزين . وموت الرافعي في سنة ١٩٣٧ ، أي خلال الثلث الثاني من القرن العشرين ، الذي نعيش فيه محفوفين بجميع مظاهر الحضارة والنور ، خليق بأن يجعل الكلمة التي تقرر عنه ، تنطوي على شيء من قسوة الحقائق ومرارتها ... !

عاش الرافعي وهو يعالج الكتابة ، في الادب العربي . والشعر ـ زهاء اربعين سنة ، أخرج خلالها طائفة من الكتب ، سنتناولها بالحديث والذكر فيما بعد ، وظل وهو يفاخر طيلة هذه الاعوام بأنه رمز للرجل المحافظ على القديم ، ضد غارات الجديد . وقد عرف بذلك كيف يناوش كل كاتب من الذين يتزعمون الادب الحديث ، وكيف يرميهم بالذع الالفاظ ، وينعتهم بالصفات المعيبة حتى ولو بالكفر ، والخروج عن القومية ، والخيانة الوطنية ، وهو لا يبالي ، مادام الغرض الجوهري من كل هذا ـ ان يكون هو « بارعا » في ابراز كلامه « البليغ » متفننا في توشية أسلوبه البياني المحكم بالزخرف الزائد ، والجمال الظاهري الذي يأخذ بمجامع القلوب ، حتى وان صرفه عن الهدف الحقيقي ، او جعله يقصر عن النفاذ الى المعنى المقصود !

وكان الرافعي ، ومعه انصار مذهبه القديم ، يضحون بالمعاني المفيدة ـ كما قلنا ـ من أجل « سجعة » لطيفة ، ويستهينون بكرامة الادب ، وهو وظيفة الحياة ، لكي يقال عنهم « بلغاء » و « بارعون » !

كان أهل القديم لا يفهمون من الادب ، الا انه الاسلوب اللفظي الانيق ، لأنهم مقلدون . وكانو يستعينون على ذلك بتقليد « الحريري » و « الهمذاني في المقامات و « ابن معتوق» و« ابن

أوس » في ايراد المعاني شعراً .. ولذلك لم تكن المعاني التي تنطوي عليها كتابات هؤلاء الا الوانا عجيبة ، متنافرة لا تناسب فيها ولا اتساق ، فتأخر الفكر وانحط الذوق ... وثار أنصار الجديد الذين اقلعوا عن التقليد ، وحرروا نفوسهم وعقولهم من القيود البالية ، وعاشوا في صميم الحياة وأخذوا يوجهون الادب العربي ، الى الاتجاهات الحديثة ، التي رسمها اعلام البيان في العوالم الراقية المتمدنية !

ومن هنا نشبت الخصومة بين الرافعي ، رمز القديم ، وبين أنصار الجديد ، الذين لم يروا في انتاجه غير ضرب من التقليد والفناء في الغير ، دون تحرير العقل والشعور . ولاريب أن الانسان عندما يشرع في التعبير عن عواطف غيره دون أن يسكب روحه ، وعواطفه يتلاشى فنه وتفنى ذاته ، وينحرف عن بلوغ الكمال . حتى وان اتخذ لذلك احسن الوسائط . واعظم الطرائق .. وهذا هو الحال في أدب المرحوم الرافعي . فأنه لم يكن يفهم من وظيفة الادب الا انه رصف الالفاظ الرنانة . والجمل البليغة . لكي يخفي ماوراءها من المعاني السهلة التي لو بسطت باسلوب ادق لاثارت الضحك والسخرية . لفرط ما هي عليه من التفاهة !

وهذا هو الفرق الكبير بين القديم والحديث . أو بتعبير أوضح ـ بين التقليد والتجديد !

واذا كان تأثير أنتاج الاديب في الاذهان والنفوس يعظم بمقدار ما يستقل شعوره ويسمو. وبمقدار مايرق خياله ويتهذب فنه ويفيد فان المرء لا يستطيع ان يقرر عن أدب « الرافعي » اكثر من أنه ادب لا يؤثر في القلوب والعقول الا تأثيراً وقتيا . لانه ادب مقامات . وبديع . وجناس والفاظ منتقاة قبل كل شيء . وأما من ناحية المعاني فهو أدب ميت لا يمكن أن يخلد بحال و يبقى على الزمن

ولقد يكفي الانسان عند ما يطالع للرافعي « مقالا » في صحيفة من الصحف . أو يتوفر على قراءة كتاب من كتبه الكثيرة ـ اذا استثنينا الكتب التي تتصل بدراسة الادب العربي القديم ـ أن يسائل نفسه : ماذا أفاد من هذا المقال . او بما ذا خرج من هذا الكتاب . بعد هذا الجهد الذي احتمله وبعد هذا الوقت الذي انفقه ؟ ... فلا يحير جوابا ... ذلك لانه يري نفسه عاجزا عن استخلاص العبرة المفيدة او تقرير الحقيقة الواقعة باكثر من أنه رأى افكارا مقيدة غير منطلقة لانها اسيرة لتقليد القدماء محاولة اقتفاء مناهجهم كانها تباريهم في ميدان سباق . وشتان! بين المرآة واصل الشيء المنعكس عليها . بل شتان بين الحقيقة وظلها . وبين الجمال والزينة .!

حسن البداوة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

قلنا ان ادب الرافعي لم يكن ادب معنى ، بل ادب لفظ . . . وحتى أنصار الرافعي أنفسهم لم ينكروا هذه الحقائق في مراثيهم له وحتى الرافعي نفسه ـ رحمه الله ـ كان يعرف جيداً مميزات ادبه ونواحي ضعفه . وآية ذلك كله ان جميع من رثوه في الصحف لم يستطيعوا ان يذكروه وهم

يسددون مواهبه بأكثر من صفات البلاغة . ولقد طلبت احدى الصحف الى الرافعي ذاته قبل موته بزهاء شهرين أن يؤبن نفسه على نحو ! ما فعل « ويلز » . فلم يسعه الا ان يقول عن نفسه أنه « أمام البيان » وحجة العرب ومالك ناصية البلاغة

ومن ذلك التمهيد نستطيع النفاذ الى ادراك القيمة الحقيقية لكتب الاستاذ الرافعي وبحسبي أن أذكر ما هو بين يدى الآن منها وعددها ستة كتب وهى : —

المساكين — حديث القمر — رسائل الاحزان — السحاب الاحمر — اوراق الورد — على السفود « نقد تحليلي ! »

فاما كتاب المساكين ، فقد قرأته مرتين ، وأعدت قراءاته اكثر بعد وفاة الرافعي ، فكان رايى فيه فى هذه المراحل الثلاث ، واحدا لم يتغير . فالرافعي صاحب اللفظ المسجع البليغ ، والتراكيب الرنانة المنغمة ، هو فى هذا الكتاب ، واحد لم يتغير ايضا . طغيان اسلوبه على عقله . واحتجاب الفن الحقيقي ، خلف زخرفة زائدة لا معنى لها . . . . واليك صفحة منه ، فى الفصل الخامس ، وكأن المرحوم الرافعي يصف فيه نفسه وادبه ويتكلم عن أثر كتبه ، قال امام الادب !!

— « ولقد عنى يابنى من هذه الكتب فانها متى انتهت الى السماء ، رأيتها أكثر ما ترى الفاظا لا معنى لها ، اذ ليس هناك من الجلال الا ما يشبه أن يكون معنى لا الفاظ له ؟ ودعنى احدثك عن الحياة بما أفهمه انا الرجل الطبيعي من فلق الصبح ، ومن روعة الشمس ، ومن أقبال الليل ومن أدبار النور بما اعرفه من هذه اللغة ، وبما استوحيه من هذه الاشارات التى تتحرك بها جوارح الطبيعة ، وهى مزيج من لغة البقاء الارضى الذى يريد ان ينتهى ، ولغة الخلود السماوى الذى يريد ان لا ينتهى ! .. الخ .. الخ ... » —

واليك قطعة اخرى من الفصل الثامن : —

« اما الجنود فاذا رايتهم يلتحمون قلت زلازل الارض قد خلقت على ظهرها ، واذا شهدتهم يقتحمون خلت نفوس الكرام قد حملت على دهرها ، وقد ايقنوا أن لم يكونوا للموت ، كانوا للاسر ومن لم يبن منهم على « الفتح » بنى على « الكسر » ! . وما منهم الا من يحمل رأسا كانه لا يملكه على عنق لا يدرى كيف يمسكه فى بدن لا يعرف اياخذه الموت أم يتركه » . الخ .. الخ

ومن ذلك كله تفهم ان الرافعي — كما قلنا ونقول — كاتب « بارع » ولكنه ليس مفيدا ، لانك لو قرأت كتابه هذا الف مرة ، ما استطعت ان تخرج منه بفائدة تذكر ، جلت أو هانت

وكتاب المساكين الذى اخترنا منه القطعتين السالفتين انما كتبه مؤلفه — يرحمه الله — ليقيم الدليل على أن مصر والشرق لم يعقما فأن بين رجالهما من يبذ « فكتور هيجو » فيما خلد به ذكراه ، حين اخرج للعالم كتابه الباقى على الحياة « البؤساء » — كما حدثنى بذلك الرافعي نفسه فى سنة ١٩٣٣ حين التقينا بدار « كوكب الشرق »

ولننتقل بعد ذلك الى « حديث القمر » و « السحاب الاحمر » و « رسائل الاحزان » و « اوراق الورد » — وهذه الكتب جميعها من طراز واحد ، اذ تناول فيها الرافعي اسرار القلب البشري من الناحية العاطفية لانها هى عقد ينتظم فيه هذ المجموعة الاخيرة الكبيرة من كتب الغرام!

وقبل ان نتحدث عنها نورد بعض فقرات من كل كتاب على حدة :

قال فى حديث القمر يصف ابتسامة حبيبته . « يتخيلها ابتسامات من السعادة . كما يرى السكير المدمن فى عناقيد العنب سحابة من الخمر ..»

وقال فى رسائل الاحزان فى الرسالة الثانية عشرة صحيفة ١٤٧ ما يأتى

« وهنا مغاص الدرة فى لجج الحب فالق على نفسك من رقة قلبى حتى تواثقنى على انها لا تخرج من نفسى الا كما اريد ان تتلقاها فلا انبسط ولا انسرح بكلامى هذا الا فى مكان فى نفسك

«فترى من رقعة ندية طرازا اخضر مفوفا على ثوب الماء وفيه حبك بديع من اغصان الشجر يلوح طرائق طرائق وحبكا حبكا ! الخ..»

وعلى هذا النسق جري الرافعى فى كتابيه الاخيرين «السحاب الاحمر» و«اوراق الورد» اللذين هما عبارة عن رسائل غرام عاطفية تطارحها شاعر صوفى ! وشاعرة روحانية — على حد تعبيره

فما نصيب هذه الكتب وما اثرها وما مدى اهليتها للبقاء ؟ وما مكانها من التفكير السامى . و الشعور الصادق ، او الاخلاص فى التعبير الفنى الصحيح ؟

بحسب القارىء الواعى . اى المنتبه غير النائم . ان يقارن فى ذهنه بين صفحة من «الام فرتر» او «اعترافات لامارتين» التى ترجمها الاستاذ الزيات . وهو من الكتاب الحريصين على الاسلوب البليغ وبين جماع ما اشتملت عليه كتب الرافعى العاطفية الاربعة من المشاعر ، والاحاسيس ، وتصوير الخوالج ورسم القلوب . ليدرك نصيبها من الاخلاص الحقيقى فى الابداع . وليفهم من هذه المقارنة الموهبة الفكرية الصحيحة من القحط المعنوى المجدب . والشعور المرهف البصير من الكلام المزخرف الفارغ . والطبع الصادق السليم من الجمال الظاهرى الذي لا قوة فيه ولا روح . ولا حياة

وليس للرافعى من اثار فى النقد ، غير بعض احاديث نشرها فى الصحف متفرقة ، وغير كتاب اسمه على (السفود) وهو مجموعة مقالات نشرها قديما بمجلة العصور ايام كانت تصدر عن ادب العقاد وشعره . وبعض ردود على ماوجه الى كتابته من النقد

ويكفى للدلالة على معرفة مدي فهم الرافعى لمهمة النقد . ان نذكر له انه اول من ابتكر فى أسلوب الصحف الادبية الفاظا بذيئة تشهد له بما تشهد من ذلك مثلا انه سمى العقاد «بالشاعر المراحيضى» و كان لايبالى أن ينعته «بالمغفل» فى معرض النقد الأدبى . وبالعبد ، فى سياق النقاش الكتابى ، ويدعو عليه بان يصاب «بالرمد الصديدى» ! وكتاب على « السفود » حافل باكثر من ذلك من

العبارات النابية ، ولذلك صرفنا النظر عن أن ننقل للقراء شيئاً منه .

كذلك كان المرحوم الرافعي ، لايبالى فى اتهام أى أديب يخالفه فى الرأى بالمروق عن الدين ، والخروج على القومية ، كما فعل مع الاستاذ سلامه موسى صاحب هذه المجلة ...

كما كان لايتورع بتعيير الدكتور طه حسين بانه أعمى ، عندما بايع العقاد بامارة الشعر منذ مدة ليست ببعيدة ... وقد جاء فى احدى مقالاته مرة . « ألا فليهنك ياعقاد ، أن الدكتور طه حسين قد وجه اليك اليوم تلسكوبه !! »

وكتب مرة ينتقد بيتاً من «الشعر» فجاء فى نقده مايأتى :—

وهذا هو البيت أولا ليرى القراء أنه لايستحق كل ذلك : —

شربنا وغنينا وما فى عدادنا سوى شارب قد باع بالخمر دنياه

النقد — «يعنى أنهم كانوا سكارى . وإذا كانوا سكارى فما هى الدنيا عندهم إلا الخمر . فكيف اذن يبيعون بها الدنيا ؟ أظن هذا المتشاعر انما يريد معنى العامة فى قولهم . باع دينه بالخمرة . وهذا كلام مستقيم ينطبق على السكير لان الخمر ليست من الدين . بل العامة أهدى من العقاد المراحيضى الى حقيقة المعنى لأنهم يجعلون شعار الحشاشين والسكيرين هذه الكلمة . « خراب يادنيا عمار يامخ » فكيف اذن يبعت الدنيا بالخمر ولا دنيا إلا فيها عند أهلها ؟ لعله يريد أسباب المعايش كالتجارة والصناعة ونحوها فتركوها واقتصروا على الخمر . فاذا كان هذا معناه وقصده فهم حثالة الناس ورذالتهم الذين لاقيمة لهم ولا منزلة كبعض سفلة العامة فى بعض الحانات التى يراها من يمر فى شارع كلوت بك !!! » اه .

وكل هذا لأجل بيت من الشعر !!! فياللادب الرفيع !!!

والخلاصة أن أدب الرافعى ، وكتبه ، لاتتميز بغير زخرفة اللفظ وإن خلت من الفكرة الخالصة ، أو الملاحظة الدقيقة . وأما أثرها فى النهضة الحديثة ، فانى اترك الحكم عليه للقراء وللتاريخ . غير انى أقرر حقيقة فرغ البحث منها ، وهو أن قيمة الكتب ، انما تقدر بما تنطوى عليه صفحاتها من ابراز الحقائق ، وتوخى الفائدة . بعيداً عن وسائل التنميق . وبمقدار ماهى عليه من البساطة والصراحة . التى هى طابع هذا العصر عصر السرعة . دون الالتجاء الى الخيال المنسجم أو التشبيه الرائع أو التراكيب اللفظية البليغة أو الحشو الممل . أداة الأقدمين لأن الدنيا تتجدد وكل أديب صادق هو من يكتب لزمانه الحاضر لا زمانه المنصرم كما كان يفعل الرافعى يرحمه الله أوسع الرحمات !!

الحب . ماهو وما قيمته ؟

بقلم الاستاذ بشرى الضبع

(١)

الحب شيء والجنس شيء آخر . كلاهما ينبع من نبع خاص .

كان الناس الي عهد قريب جدا يخلطون ومازال كثرتهم حتى الآن يخلط أيضا بين هذا الصرح الكبير من العواطف الرقيقة والحنان والتعاطف الذهنى وبين الميل الجنسى الصرف . كانوا يظنون أن العلاقات الجنسية التى يشاهدونها فى المملكة الحيوانية والنباتية ، مظهر من مظاهر الحب . وكانوا يتوهمون أن الحب صفة أولية من صفات البروتوبلاسم . وكان كثير من الشعراء الأقدمين يقولون فى شعرهم . ان نشيد الحب يغمر الطبيعة كلها . ونجد بوشنر ، رسول المادية ، يصطنع لغة ابيروقليس فيقول : ان الذرات تتجاذب وتتنافر بدافع الحب والكراهية . وقال فيلسوف آخر المانى : انه كما تجذب المرأة الرجل والرجل المرأة كذلك الاكسوجين يجذب الايدروجين ومن هذه الرابطة الحبية يولد الماء .

فهو الحب فى شكل الجذب والدفع ، يشد الحجر الى الحجر والأرض الى الأرض ويسند هذا الصرح العظيم الذى نقف عليه . هذه عبارات وآراء كثيرا ماتقع عليها فى قراءاتنا . وهى كما يقول الأستاذ بريفولت الذي اعتمد عليه كثيرا فى هذا البحث ، ليست إلا أقاويل أساسها الجهل التام بالحقائق البيولوجية .ذلك لأن الحب شيء والجنس الصرف شيء آخر . فالغريزة الجنسية أصيلة فى الانسان ، أما الحب فمكتسب. هو نتيجة الثقافة والتقدم الاجتماعى . فالعلاقة الجنسية مجردة فى الأصل من هذه الاحساسات التى نصفها بالحنان والرقة والعطف والتى تجمعها كلمة واحدة هى الحب . فان هذا اللون من العواطف قد نشأ متأخراً بعد أن قطعت الانسانية مرحلة كبيرة فى سلم النشوء والارتقاء

وهو حين نشأ ، نشأ متصلا بوظائف تختلف كل الاختلاف عن الوظيفة الجنسية . أما الجنس فى طوره البدائى فقد كان مصحوبا ، فى غالب الأمر بالقسوة والتلذذ من ايقاع الاذى ورؤية الالم فالحيوانات كائنات مفترسة ومنظر أى مخلوق فى حالة ضعف شديد أو حين يكون مطروحا على الارض مدرجا بالدماء لايعنى شيئا عندها سوى انه فريسة اى طعام . فالسباع والنمورة تقتل أنثاها

وتلتهم صغارها . وفى الكتب الانثروبولوجية نجد شواهد كثيرة لهذا . منها أنه حدث أن جرحت إحدي اللبؤات ثم وجدت منهوشة النصف الخلفى بعد أيام . وحدث أيضا فى حديقة الحيوانات فى نيويورك أن فهدا امريكيا أحضروا له انثى فى قفص قريب من قفصه ليتآلفا فجعل فى أول الأمر يتملقها ويلعق فروتها ويداعبها بيده . فلما أدخلوها عليه افترسها . ومن هذا يستنتج الاستاذ بريفولت أن الجوع الجنسى ليس الا لونا من ألوان الافتراس . فغاية الخلية الذكر من الاندماج فى الخلية الانثى هو فى الاصل الحصول على غذاء بنفس الطريقة وبنفس الدوافع الأصلية التى تبحث بها عن الطعام . وكما أن البيضة تتمثل الخلية المنوية كذلك نجد أناثى العناكب تفترس وتلتهم ذكورها .

ومعنى هذا أن الاتصال الجنسى عند هذه الكائنات البدائية ، سادي ، أى أنه قاس كالجوع نفسه . فالقسوة هى العاطفة المباشرة والاساسية التى تصحب الغريزة الجنسية . فاذا اشتبك ذكر وأنثى فى هذا العمل الجنسى انقض الذكر على الانثى فى قسوة وانشبت الانثى بدورها أنيابها فيه . فانثى الجمل لاتكاد تنتهى حتى تستدير للذكر وتغرس أنيابها . وفى العالم الانسانى الراقى لاتزال بقايا من هذه القسوة التى يمتزج بها الجنس امتزاجا شديدا . وكلمتا «المازوكية» و«السادية» ليست بغريبتين عنا . ويلاحظ الاستاذ بريفولت ان كلمة «يقتل» فى اللغة المصرية القديمة تعنى أيضا «يأكل» وأنه كان من عادة العاشق المصرى فى ذلك الوقت اذا ما اراد أن يعبر لعشيقته عن حبه الشديد أن يقول لها : أتمنى لو أكلتك .

ويستنتج من هذا ، أن هذا التعبير لابد أن يكون له أصل بيولوجى . فالعواطف الرقيقة التى تنشأ بين الجنسين لاتتصل فى الاصل بالدافع الجنسى وانما هى تتصل بدافع آخر هو الاجتماع والثقافة . فالغريزة الجنسية لاتطلب اكثر من اتمام العمل الجنسى . أما الاسترفاق أى الحاجة الى الرفيق والمعين فهى حالة انشأتها و بعثتها وظيفة النسل والامومة . فان العناية بالاطفال أوجدت الانثى فى حالة حرجة يصعب عليها فيها أن تحمى نفسها وتوفر غذاءها : ومن هنا بدأت تسترفق الذكر . وبهذا أضيف الى الغريزة الصرفة شىء جديد غريب عنها . واكتسب الذكر تبعاً لذلك شيئا من العواطف الرقيقة الخاصة بالانثى . وتبدو هذه الحالة فى وضوح وجلاء حينما تحتاج الانثى للرقود زمنا طويلا على بيضها ليفقس . حينذاك يتحتم على الذكر ان يرعاها بالغذاء والسهر فى أثناء ذلك . أما فى الحالات التى تجد فيها الانثى قليلا من القدرة على حفظ كيان صغارها وحمايتها بنفسها فانا نراها لاتسترفق فحسب بل تنفر من الرفيق وتبتعد عنه . واكثر مايقع هذا عند الحيوانات الثدية . يروى لنا لفنجستون أنه لم ير قط قطعا من ذكر الفيلة يسير مع أناثه . وان ذكر الجاموس يجتمع باناثه مدة شهرين فقط من السنة كلها . هذا مايقع فى العالم الحيوانى . أمافى

العالم الانسانى فهو فى بدء التطور لايكاد يختلف كثيرا عنه عند الحيوان فالذكر فى القبائل البدائية يعامل الانثى فى برود شـديد وعدم اكتراث . وزمن الاجتماع قصير جاف يكاد يقتصر على تأدية الوظيفة الجنسية الصرفه . فالاسكيمويون يعاملون زوجاتهم بجفاء واهمال شـديد . وقبائل الكونجو لاتعرف شيئا عن هذه العواطف الرقيقة التى تنشأ بين المحبين . وعلى عكس هذا تماما نجد الحب شديداً بين الامهات وأطفالهن . ويريد الأستاذ بريفولت من ايراد هـذه الشواهد كلها أن يثبت أن الاسترفاق أو الحب انما هو امتداد عواطف الامومة واتساعها وانتقالها الى الزوج والاطفال وهو فى أول أمره يظهر ضعيفا جدا . أى أنه حب سلبى ، يقوم على تبادل المنفعة . ولهذا فان الصفات التى تبحث عنهـا المرأة هى الصفات التى تجعل منه مخلوقا ناجحـا . وهى القوة والشجاعة وتحمل الشدائد .

والغريب اننا فى نظام زواجنا لانفترق كثيرا عن هؤلاء الفطريين . فالأمر فى الزواج عندنا يقوم على المنفعة وليس على الحب المتبادل . ولهذا تظل المرأة عبدة لغريزة الامومة مدى حياتها أى أن وظائفها البيولوجية تستهلكها استهلاكا قاتلا وتدفعها الى الارتماء فى أحضان الرجل تطلب منه العون والحماية . ومن هنا ، هذا الاختلاف فى النفسية بين الرجل والمرأة . فالمرأة تقرب الحياة وتحسها وتتفاعل معهاتبعا لطبيعتها البيولوجيةومركزها الاقتصادى . وليست كذلك الحال مع الرجل . وبهذا يتخذ التقدم النفسى للأمة طريقين متباعدين مختلفين يسيران جنبـا لجنب : تطور نسأئى وتطوررجالى . وكل من هذين التطورين يبرز أنواعامختلفة من الصورالنفسية ، من الميول والاهواء من الغرائز والانفعالات ، من القوي المتفاوتة فى التصور والارادة والعمل .

فالحب اذن أصـيـل فى المرأة مكتسب فى الرجل . هـــو عند الرجل من نتاج الثقافة والاجتماع . وهذا هو السبب فى اختلاف الحب عند الامم المختلفة . فهو عند العرب غيره عند اليونان وغيره فىالقرون الوسطى . ومعنى هـذا أن الرجل يتعلم الحب ، يتعلمه من الآداب والتقاليد التى تحيط به .

ونلخص بواعث الحب الاجتماعية الثقافية كما يراها بريفولت فيما يأتى :

١ — حاجة الانسان الشديدة الى مخلوق يشاركه فى الاعجاب بالصورة العليا التى رسمها لنفسه وتقديرها .

٢ — الاحساس بالجمال . وهو أيضاً ثمرة من ثمار التقدم الاجتماعى . ويتضمن هذا الاحساس المقياس الأعلى للجمال النسوي ، كالرقة والعذوبة والشخصية والذوق ولباقة الحديث والحركات

٣ — المشاركة فى الذوق والميول

٤ — اشباع غريزتى الملكية والزهو

• — تهيئة الجو لحرية الاختلاط وتبادل الأسرار

هذا هو التاريخ النشوئى للحب . وهو كما ظهر لنا يقوم على اجتماع المرأة والرجل على هموم ذهنية وعاطفية بعيدة كل البعد عن الحاجة الجنسية الصرفة . وبالرغم من أن الرجل استمد عناصر الحب من المرأة ، إلا ان الملابسات التى أحاطت بها فى أثناء التطور ، وهى حاجتها الى معين اقتصادى وانشغالها بتربيـة الأطفال وما ترتب على ذلك من نشوء مزاج نفسى خاص بها ، هذه الملابسات وقفت بالمرأة وحصرت قواها المنتجة فلم تساهم مع الرجل فى بناء الثقافة

(٢)

وهنا أستاذ آخر اسمه « سوتى » يقوم على رأس المدرسة السيكلوجية الحديثة فى انجلترا يقرب موضوع الحب من النقطة التى بدأ بها بريفولت بحثه

يقول هذا الأستاذ إنه ليس فى الانسان ميل أصيل الى القسوة أو الكراهية . وإنما تبعث فيه هذه الميول كنتيجة لنوع العلاقات التى كانت بينه وبين أمه فى أثناء الطفولة . فاتصال الطفـل بأمه يبعث فيه عواطف واحساسات تستمر معه حتى الممات . هذه العواطف هى العناصر الاساسية للحب . فهذه الصلة هى الدافع الذى يدفعه فيما بعد إلى البحث عن مخلوق يقوم مقام أمه : يشاركه فى هموم نفسه ويعطف عليه ويعاونه ويشعره بالأمن ويطرد عنه قلق الوحدة . فالحب هو الأصل فى الانسان لأن صلته بأمه لا تعلمه غير هذا أما الكراهية والقسوة فهى ميول عكسية تتكون فيه حين يحرم من الحب . وهو يستجيب لهذا الحرمان استجابات مختلفة . فمثلا تراه يحدث نفسـه : إن أمى طيبة القلب وعطوفة . فهى اذا لم تحبنى فذلك لأنى شرير . ومن هنا ينشأ مركب النقص فاذا كبر حلت الجماعة محل الأم واقترب من الجماعة بهذه المجموعة من العواطف والاحساسات التى كان يقترب بها من أمه . أو فانه يقول : أمى تحب الأطفال وتعطف عليهم فلأ كن طفلا . وهذا هو سبب البلاهة أو الصبيانية . أو يقول:لتحبنى أمى أو تخافنى . وبعبارة أخرى ليحبنى المجتمع أو فليحذر بأسى . وهذا هو الاجرام . هذا الحب الذى يصدر عن صلة الولد بأمه يتسع فيما بعـد فيشمل الجماعة التى تحيط به ثم يستحيل إلى قوة فعـالة فى بناء الثقـافة . فالحب فى هـذه الحالة هم ذهنى عاطفى وليس حاجة جسدية أو كما يقول فرويد مظهر من مظاهر الغريزة الجنسية المكبوته

(٣)

أما أدلر فهو يختلف عن بريفولت وسوتى ولـكنه وإن خالف فرويد فى أصول الدوافع الانسانية فانه يكاد يتفق معه فى الجوهر . فغاية الحياة عنده السيادة والسلطان . وغاية الحياة عند فرويد اللذة . وادلر يعالج الميل المنحرف الى السيادة والسلطان بتوجيهه توجيهاً حكيما أي يبعث

الروح الاجتماعية فيه . وفرويد يعالجه بتفضيل مبدأ الحقيقة والصالح العام على مبدأ اللذة . ومعنى هذا أن كليهما ينظر الى الانسان كمخلوق هدام مجرد من عناصر البناء والخلق فهو لهذا فى حاجة دائماً الى الكبت ، كبت الغريزة الجنسية أو السيادة ، ليتهذب ويرق . أما « سوتى » فعلى النقيض من ذلك . فالانسان عنده محب بطبعه . أى فيه ميل طبيعى إلى الاسترفاق . وهو لا يلجأ إلى الكراهية والعنف إلا حين يحال بينه وبين الحب

(٤)

ويقسم الكاتب الانسيكلوبيدى الكبير ه . ج . ولز ، الحب ، إلى نوعين كبيرين :

(ا) الحب الانسانى العام أو الحب الكونى . وهو أرقى حالات الوجود الانسانى . هذا هو الحلم الذى يحلم بتحقيقه اليوت سمث ويقول عنه برجسون ويونج وبول فاليرى وكثيرون غيرهم بأنه غاية الحياة الكبرى . ففيه يحب الانسان المرأة لا امرأة بعينها . أو الرجل لا رجلا بعينه . وفيه أيضاً تموت الغيرة . لأن الذات تتسع ثم تتسع حتى تشمل البشرية كلها . وهذا الحب لا يمنع الانسان فى الوقت نفسه من أن ينكمش من حين لحين ليلبى نداء عواطفه الاولى التى تدور حول نفسه والتى ترتبط ارتباطاً وثيقاً باستجاباته البعيدة الخاصة بالطفولة أى يستحيل الجنس إلى وسيلة من وسائل التعبير المتعددة عن الحب . فيعشق امرأة بعينها ويحرص عليها . ولكنه حرص قائم على المساواة التامة . حرص مجرد من الغيرة القاتلة والامتلاك والتفوق

(ب) أما النوع الثانى فهو الذى يكون بين رجل بعينه وامرأة بعينها . يغار عليها وتغار عليه يحرص عليها حرصاً شديداً وهى تضيق عليه الخناق . وإلى هذا يقيم نفسه سيداً عليها وينظر اليها كما ينظر الى أمه أو الى نديم تقف على خدمته وتسليه وتغنى له . هذا النوع من الحب ، إنما هو حب محدود عاجز ، حب خاسر يمنع الانسان من المساهمة فى الرقى الاجتماعى والأعمال الانسانية لأنه واقع فى كل لحظة تحت سلطة الغيرة والاستبداد . من الجائز أن ينشأ بين الطبقات المتأخرة أو الشعوب الفطرية ولكنه يبدو شاذا غريبا اذا وجد فى جماعة تطمح فى الرقى . من الجائز أن ينشأ عند المتوحش ، عند الفلاح ، عند بائع الكتب التافهة ، عند المجرم وعند هؤلاء الذين ضاقت نفوسهم وضؤلت شخصياتهم . ولكنه عار وخزى إذا وجد فى المثقف ، فى العالم ، فى الفنان أو فى أضراب هؤلاء . لقد اقترح ميريدث عشر سنوات كأقصى حد للحياة الزوجية ولكن ولز يقول لماذا نغمض أعيننا عن الواقع ، فان قصص الحياة تكاد كلها تنتهى بهذه العبارة بين الحبيبين : «لقد انتهى ما كان بيننا ولنعش أصدقاء» وولز لا يؤمن بالتفرقة بين الرجل والمرأة . لأن الفروق الموجودة إنما هى فروق مصطنعة . فالمرأة الاجتماعية الآن تحررها من العبودية البيولوجية .

وتفتح لها السبيل لتقف مع الرجل على قدم المساواة . فهى يمكنها أن تحب الآن وأن تعلن رغبتها فى الحب إذا شاءت . يمكنها أن تكسب قوتها وأن تعمل وتتحرك بمحض إرادتها . وهى إذ تفعل ، تفيد الثقافة وتمدها بقوة جديدة تنميها وتخصبها .

(٥)

والآن نحب أن نسأل : ما هو مركز الحب فى المجتمع المصري .

الحب كما يفسره بريفولت وسوتى وولز ، أى هذا الصرح الكبير من العواطف المثقفة الاجتماعية . لن أحاول التمويه والاطالة . سأقولها قولة صريحة لا لف فيها ولا دوران .

ليس فى المجتمع المصرى حب ! المجتمع المصري ليس اجتماعيا . إنه مبعثر مفكك . يقوم فى الغالب ، فيما يتصل بالحب ، على مزاج من فكرتين . الملكية المستبدة وسببها عدم المساواة بين المرأة والرجل . ثم تغلب الحاجات البيولوجية الصرفة .

غير أن هناك نفراً من الشباب المتعلم والمثقف ، يكبر الآن شيئاً ، يعانى آلاماً نفسية بعيدة الأثر من هذا المجتمع الذي لا يعرف عن المرأة سوى أنها مخلوق بيولوجى ، طعام ، شىء لا شخصية له ، عليها أن تجلس مكانها لا تتحرك إلا إذا دعيت ولا تتكلم إلا إذا أشير إليها بالكلام . مخلوق مجرد من الحاجات والميول التى تنبعث فى صدر الرجل . فاذا بدا لها أن تعلن رغبة من رغباتها كما يعلن الرجل أو تثبت وجودها أو تأتى بما ينم على الاستقلال والاعتماد على النفس . إذا فعلت شيئاً من هذا فهى مجرمة اثيمة . هذه الفئة المتعلمة من الشباب تعانى الحرمان من الحب . هذا الشباب يعيش وحده . لا يجد هذه الصلات الخاصة القريبة الحرة التى تشعر بأنه يحيا ويعيش . ذلك لأنه يحيا حياة تختلف عن حياة السلف . هو شباب مثقف طموح فى نفسه هموم ذهنية . والتفكير المحصور الذي لا يتعدى جدران نفسه يقتله . كما تنقصه هذه الاستجابة المثقفة التى تلهب أعصابه وتدفعه الى الانتاج .

هو لا ينظر إلى الجنس إلا كوسيلة للتعبير عن عواطفه الراقية المثقفة .

كل إنسان على شىء من الرقى والحضارة يرسم لنفسه صورة عليا يحترمها . وهو يطلب من الناس ، سواء فى غموض أو عن دراية ، أن يشاركوه فى هذا الاحترام فاذا تم له ذلك أشرقت نفسه وتفتحت واتسعت . أما إذا فشل حزن واغتم وقل نشاطه . وتكونت فيه عقد نفسية مختلفة. فاحترامه لنفسه لا ينفع وحده . لأن هذا الاحترام لا يملك ذراعين أو شفتين . ومن هنا حاجته إلى المرأة . إلى هذا المزاج من الجنس والثقافة . ففى قبلاتها ودعاباتها يلمس فى وضوح وجلاء هذا الاحترام والتقدير .

الحضارة الصحيحة هى الحضارة التى تنمى فى أفرادها جميع ملكاتهم . هى التى تكفل لهم أقصى درجات الوجود الحر الواسع الشامل . فهل يشعر الشباب فى مصر عامة والشباب المثقف بوجه خاص أنه يتنفس فى جو طلق وأنه يعيش فى وسط مرن يسوده الحب ويساعده على تنشئة ملكاته وخواصه الطبيعية تنشئة سليمة . فاذا كان يشكو شيئاً أيشكو عقله أم قلبه ؟ واذا كان قلبه مريضاً ضعيفاً يشكو قلة النشاط وبواعث التفتح والازدهار ، أهو الذى يعانى وحده أم أن الشباب فى البلاد التى تفرض حضارتها الآن على العالم كله يشكو أيضاً ؟ وإذا كان هذا الشباب المتحضر لا يعانى ما نعانى فلماذا لا نصطنع أساليبهم فى الحياة ونظام معيشتهم ! ؟

حينما تنمو حضارة من الحضارات تبسط سلطانها على ما يجاورها من الحضارات الناشئة الضيفة . والأمم الصغيرة تتأثر برغمها بالنور الذى ينعكس عليها من هذه الحضارات القوية النابضة . وهى إذ تأخذ عنها ، تأخذ فى بادىء الأمر ما يمس الجسم ومتعة الحسن . فهى تلبس الحرير وتقتنى الاتوموبيل وتبنى دور السينما . ولكنها تحتقر المرأة وتستهلكها كما تستهلك الطعام الشهى وتقيم الوالد سيداً وطاغية على ابنه فلا يستطيع الولد أن يسر الى أبيه بذات نفسه أو يجلس اليه يدخن سجارة أو يتبسط معه فى الحديث .

ولا تستطيع الزوجة أن تجلس على مائدة الزوج أو تشتبك معه فى حديث هام . هذه الامة الضعيفة الناشئة تقتنى الراديو والطائرة وتؤسس البيوت المالية على أحدث الأنظمة ولكنها تحارب اختلاط الجنسين واستقلال الفتاة استقلالا يمس حياتها الشخصية والسياسية والاجتماعية . وتعتمد على الدين وحده فى تفسير الحياة العامة . وتكييف احساسها وشعورها بها وفى استخراج المقاييس التى تتصل بالحياة الشخصية والاجتماعية والاخلاقية مهما قيل عن تاريخنا المجيد فلن يدفعنا هذا الى الاعتقاد بأن حضارتنا القديمة لم تتبخر وان بقيت بذورها وكمنت عبقريتها فى صدورنا . فقد مرت علينا أيام مظلمة قاتلة محت من نفوسنا كل همة ونشاط . لم نتحرر منها الا حديثا وحديثا جدا . على أننا لم نفق من تلقاء أنفسنا وانما أيقظنا من سباتنا العميق نور قوى أشرق علينا من حضارة فتية . ولكنا أخذنا القشور وتركنا اللب . أي أننا أخذنا الثمار المادية لهذه الحضارة ولم نصطنع المزاج الذى اخترعها أو الصورة النفسية التى تخيلتها . فلو أنه حدث حادث مفاجىء ونتج عن هذا الحادث تدمير تام لكل ما انتجت هذه الحضارة القومية من مؤسسات ولم يصب طابع هذه الامة العقلى بانحراف أو تفسد صورتها النفسية فى شكل من الاشكال فانها تنشىء من جديد حضارة جديدة قد تفوق سابقتها . أما اذا أصيب الذهن واتلفت الصورة النفسية فان هذه الامة تقف امام هذه المؤسسات فى دهشة تامة ، كما يدهش المتوحش حين يصغى الى دقات الساعات أو الفونوغراف .

تتكون ثقافة كل أمة من عدة مؤسسات منها :

الحياة المنزلية ، الحياة الاقتصادية ، الحياة السياسية ، الحياة الاجتماعية ، الحياة الشخصية ، الحياة التعليمية ، الحياة الاخلاقية الخ .

ومعنى هذا أن للانسان حاجات غريزية ومكتسبة وان هذه المؤسسات وجدت لترضى هذه الحاجات .

فاذا نشأت حاجات ولم تتجدد المؤسسات القديمة أو نشأت صور نفسية جديدة ولم تنشأ تبعا لذلك مؤسسات جديدة ترضى هذه الحاجات فهذا هو الجمود . والذى حدث فى حركتنا التجديدية الحديثة هو أننا اصطنعنا بعض المؤسسات الاوربية وجمدنا فى اصطناع البعض الآخر . فبدأنا مثلا نتقدم فى السياسة والاقتصاد والتعليم والعلوم . ولكننا لا نزال متمسكين باساليبنا القديمة فيما يمس الحياة المنزلية والاجتماعية والشخصية ، والروحية . ومن الأمثلة على ذلك أن الشاب يتزوج أولا ثم يحب وليس العكس . يقع هذا بالرغم من نشوء حاجات وميول نفسية جديدة تتصل بهذه النواحي . وهى فى الواقع تفوق فى الاهمية أنواع الثقافة التى اصطنعناها . لانها قوام مزاج الفرد فلو أننا تقدمنا فى هذه النواحى لبدأنا كما بدأت أوربا ولأمكننا أن نبنى حضارة مثل حضارتها . لان هذه النواحى هى التى تميز شخصية الانسان وطريقة اقترابه واحساسه بالحياة . أو هى العناصر التى تتكون منها صورته النفسية وطابعه العقلى .

لاعجب اذن أن ينشأ فى مصر أدب يكره المرأة على نحو ما . فالشاب الذى لا يجد مثله الأعلى أى الذى يكبت فيه الحب يسلك واحدا من هذه المسالك : هو يحلم بها ويخلقها فى فنه اذا كان فنانا . أو يتحطم على موائد الميسر والخمر . أو ينغمس فى اللهو الدنس ويقبل على وسائل التخدير المضرة أو ينتحر . فتوفيق الحكيم لا يكره المرأة وانما يكره امرأة بعينها . يكره المرأة المصرية المرأة البيولوجية . فهو يحب شبح امرأة . ولكونه فنانا ، بث الحياة فى هذا الشبح فكان لنا من ذلك «الملهمة» والراقصة الفنانة فى «عدو المرأة» أى أنه يحب المرأة التى يجتمع فيها الجنس والثقافه المرأة التى تعطى وتقنع بالقليل . المرأة الملهمة التى تلهب الذكاء وتبعث على الانتاج . لا المرأة التى تفنى وتستهلك .

(٦)

تشغل السيكلوجية فى عصرنا الحاضر مكاناً كبيراً بين العلوم الحديثة . وقد بلغت هذا الشأن حينما انفصلت عن الفلسفة . وأهملت البحث فى المسائل الغيبية وخضعت لأساليب البحث العلمى الصحيح . فتركت ماهية النفس وعنيت بدراسة دوافع السلوك الانسانى وبواعث سعادته ومرور

وشقائه المستعينة فى ذلك بنتائج علوم جديدة فنية كالانثروبولوجيا والبيولوجيا . وبهذا أمكنها أن تحل كثيرا من متاعب النفس الانسانية ومشاكل الحياة الاجتماعية . ولهذا ندر أن يقع الانسان على كتاب الاوربي المنظر السيكلوجي منبثا فيه .

وبالرغم من الحلول والاقتراحات القيمة التى تقدمها للبشرية من حين لحين ، نجد كثرة الجماعات عامة والهيئات المسئولية بوجه خاص تأخذ عنها فى بطء وحذر شديد . فان دل هذا على شىء فهو يدل على أن نظام التربية لايزال فاسدا وان القلوب ما زالت تتحكم فيها التقاليد والمعتقدات القديمة

ان نظرة عابرة لما يجرى فى العالم الآن من أحداث لتثير فى النفس قلقاً شديداً وبأساً قاتلا . ولقد دفعنى هذا الى تأمل طويل : ماقيمة هذه القيم الانسانية والمثل العليا التى نقرأعنها ؟ اما الحياة ماقيمة الحياة نفسها ! ماهى فى الصميم ، مجردة عارية من كل ما يحيط بها ويخفى معالمها ، من عراك وقتال وتناحر على الثروة والمجد والحياة وما الى هذه الأشياء !

أنحن أشباح تتحرك فى حلم طويل ! أيحلمنا الصانع الاكبر ! والتاريخ ! أهو حلم لانهاية له يحلمه صانع الزمان والمكان والحياة ! أيولد الانسان ليموت ! أتتفتح الحضارة ليغمرها رماد الزمن؟ الحياة ! أهى هذه الدنيا بألوانها واحزانها ، بحلوها ومرها وكل مايضطرب فيها ، قائمة فى أجهزتنا العصبية ، لاتلبث حتى تتلاشى اذا مافسدت هذه الأجهزة وبادت ! أهى مجرد لبيد محبوس فى ذواتنا يريد أن ينطلق ويتحرر بوسائل متعددة الى نهايات غامضة ! وهذه الثقافات المختلفة ! أهى هذا اللبيد المحبوس ، ملتمعاً فى أعصابنا كا تلتمع الشحنة الكهربائية المحبوسة فى السلك البلاتينى داخل المصباح الكهربائى المفرغ من الهواء ! الحياة ! أهى ومضة خاطفة تلتمع ثم تذوب فى ظلام كثيف ! ومضةمن غرائز لايدرى أحد من أين ، ثم ضغطت وجعلت ذرات ثم قضى على هذه الذرات أن تتعذب طوال السباق السخيف . الحرمان أحياناً والشبع والاكتفاء أحيانا أخرى ! ثم يتبخر هذا كله وتبقى ظلمات كثيفه ، فوقها ظلمات تحتها ظلمات ! أيذهب الحلم وتبقى الحقيقة المخيفة : عماء العماء !! هذه هى الحياة مختزلة فى هذه المعادلة الحسابية البسيطة !

فكرت فى هذا كله فى قلق شديد . فكرت فى شىء ينقذنى من هذا التخليط . وفجأة التمع فى ذهنى خاطر كأنه رؤيا : الحب !

إنه وحده أمل الانسانية وحافظه من التردى فى الهاوية ، لأنه ترياق العقل . هو وحده يستطيع أن ينتشلنا من عالم النيروانة، عالم الفكر المطلق . هو وحده يستطيع أن يشرق على قلوبنا كما تشرق الشمس على الاصقاع الثلجية فتحيى مواتها وتبعث فيها الحياة . هو وحده يستطيع أن يحفظنا من المصير الذى صار اليه أوراسيا بطل الأسطورة اليابانية ، إذ تحلل شعر رأسه وصار

رماداً ودهن جسمه واخضرت أسنانه ودبت برودة الموت فى أوصاله حينما فارق قلبه الحب .

هو وحده يستطيع ، كالخمر ، أن يتسرب داخل الجسم الى منابع الفكر والعاطفة وهناك يستحيل الى منبه قوى يثير الفطنة والخيال والشعور والشجاعة والثبات والتعاطف وتضحية الذات وما اليها من الصفات الانسانية الرقيقة .

هو وحده يستطيع أن يرهف آذاننا فيجعلها تصغى لهمس الوجود ، للموسيقى التى تنبعث من كل الارجاء . من الوجوه والاعين ، من الأشجار والأزهار ، من العمارات والاندية ، من الاكواخ والحقول ، هذه الموسيقى التى تحمل فى تضاعيفها فرح الحياة ورسالة العبقرية .

هو وحده يستطيع أن يوقظنا مع الفجر لنشاهد الشمس وهى تشرق شيئاً فشيئاً فى الافق البعيد فى ألوان مختلفة رائعة .

فتمتزج قلوبنا بالفرح العظيم الذى تغمر به أشعتها الصافية اليوم الوليد وتمتلىء بأمل ورجاء فيما تحمل هذه الدورة الجديدة من دورات الأرض .

هو وحده يستطيع أن يذهب بنا فى ساعة من ساعات الاصيل الساحرة الى الحدائق الغناء لترى الطير والعشب والشجر وهى تتهيأ لحديث الليل وسمره وأحلامه وقد هرع اليها نفر غير قليل ممن أضاء الحب نفوسهم ، يسيرون زوجين فى رف النسيم وظل الشجر كأنهم بعض هؤلاء الابطال الذين نسمع عنهم فى القصص الخرافية .

هو وحده يستطيع أن يهذب نفوسنا ويصقلها فتنبسط الى أغنية من أغانى شوبرت وتفهم عنها أو سيمفونيا من سيمفونيات بيتهوفن ، فاذا افاق الحياة تمتد أمامنا ثم تمتـد واذا بالمسافة تقترب ثم تقترب بيننا وبين الوجود العام واذا بنا نشعر بحب شديد وحنين الى كل ما يضطرب فى الكون الى الطير والحيوان والجماد والانسان .

هو وحده يستطيع أن يدفع الاديب الى الكتابة والفنان الى التصوير والنحت والموسيقى والعالم الى الاختراع والاكتشاف .

هو وحده يستطيع أن يبدع الثقافة ويتقدم بها الى أقصى درجات الرقى .

هو وحده يستطيع أن يخلص العالم !

فالتاريخ يحدثنا والحياة الواقعة تحدثنا أيضـا أن أولئك الذين لم تعرف قلوبهم الحب اسلموا حياتهم فى نهاية الامر الى الشيطان .

وأعنى بالشيطان التفكك والانحلال والانهيار على هذه الارض التى نحيـا فيها . فتجنب الناس والعزلة استسلام للشيطان ، أى قتل للنفس . والانغماس فى الخمر والبغـاء استسلام للشيطان . أى

هدم للشخصية ومحاربة التقدم. وقتل الفكر الحر استسلام للشيطان . والبخل الشديد وتكديس الذهب استسلام للشيطان . وهكذا .

باع فاوست نفسه للشيطان لانه اعتكف فى صومعته واعتزل الحياة لا للحصول على المعرفة الالهية كما كان يتوهم وانما ليعبد نفسه . قلبه لم يعرف الحب : صميم الرغبات كان يملأه . وبافنوس فى قصة تاييس ، لم يكن مصيره أحسن حالا من مصير فاوست . ذلك لانه كان أنانياً شديد الانانية ظهرت هذه الانانية فى اول حياته فى الانغماس فى اللذات وأشباع الشهوة الفجة الغليظة . ثم ظهرت بعد ذلك فى ثوب راهب . ولو عرف قلبه الحب لما تصدع كيانه عن هذه الصيحة المنكرة . ان الله والسماوات ليست شيئاً مذكورا . وانه ما من شيء له وزن وهو حق الا الحياة الدنيا متاع السرور والا الحب الجسدى . وكذلك حطمت مدام بوفاريه نفسها على مذبح الشهوة .

اذا كان الامر كذلك فلم لا نحب : لم لا يملأ الحب قلوبنا لنخلص ويخلص العالم كله !

فلنحب وليكن حبنا واسعاً حتى يشمل الانسانية كلها ؟





قاتل ابنه

قصة للكاتب الفرنسى ميريميه

وترجمة الاستاذ حسن صادق

يخرج المدير من حى بورتورفشيو ويسير نحو الشمال الغربى فى داخل جزيرة كورسيكا، فيرى الارض ترتفع فى غير تدرج ولا نظام . وبعد مسير ثلاث ساعات فى مستدقات الهيمة معوجة كثيرة التعاريج تعترضها كتل ضخمة من الصخور وفى بعض الاحيان حفر صعبة موحشة ، يشرف على دغل أو أكمة وسيعة «هائلة» كما يطلق عليها أهل تلك البلاد . وهذا الدغل هو موطن الرعاة الكورسيكيين وملجأ كل شخص ساءت العلاقة بينه وبين القانون والعدالة

والزارع الكورسيكى يجنب نفسه دائما تعب تسميد حقله ، فيشعل النار فى جزء بعينه من الغابة ، ثم يلقى البذور فى الارض وقد أخصبت برماد الاشجار التى كانت تحملها وتغذيها . ولا يهمه أن تمتد النار الى مساحة أكبر مما تقتضيه الحاجة ، بل يلهيه عن كل ما يحدث الثقة التامة بحصوله على غلة وفيرة جيدة تعد له أسباب الراحة والرخاء . حتى اذا أينع الزرع ونضج ، اقتطف السنبلات وترك الجذوع لانها تتطلب جهدا فى الاقتلاع وتحدث ألما فى الحصاد . وهذه الجذوع التى تبقى مغروسة فى الأرض ولا يمتد اليها فأس الزارع أو يده ، تنمو فى الربيع نموا كبيرا وينبت منها فروع كثيرة تتكاثف الى درجة هائلة على مر الايام ، وبعد مضى سنوات قلائل تصل الجذوع والفروع الى ارتفاع يبلغ سبعة أو ثمانية أقدام . وهذا المكان أو الملجأ يزخر بالشجر والشجيرات تنمو وتختلط كما يشاء لها الله ولا يتمنى للانسان ان يفتح فيها منفذا الا والمعول فى يده . وهناك أدغال تبلغ من الكثافة مبلغا عظيما حتى أن الوعول نفسها تعجز عن اختراقها

فاذا قتلت انسانا ، فاذهب الى دغل بورتورفشيو وخذ معك بندقية وبارودا ورصاصا ومعطفا أسود اللون متصلة بأعلاه قلنسوة كبيرة هو فراشك وغطاؤك ، تعش فى اطمئنان ودعة . وهناك يقدم اليك الرعاة اللبن والجبن وبعض الفاكهة ، ولن تخشى يد العدالة أو تخاف أذى يصيبك من أقرباء القتيل ، الا اذا أرغمك الحال على الذهاب الى المدينة لتجديد سلاحك وذخيرتك

لما كنت فى كورسيكا عام — ١٨ ، كان بيت « ما تيو فالكونى » يقع على بعد نصف فرسخ من هذا الدغل . وهذا الرجل كان غنيا بالنسبة للجزيرة الفقيرة ، يعيش بشرف ، أى دون أن يعمل شيئا ، على ما تنتجه قطعانه التى يستودعها قبائل من الرعاة مبعثرة فى الجبال

حين رأيته بعد مضى عامين على الحادث الذى سأقصه ، بدا لى فى الخمسين من عمره على الاكثر . كان رجلا قصير القامة بدينا ، له شعر جعد حالك السواد وأنف أدلف وشفتان رقيقتان وعينان واسعتان تشعان بريقا حادا رهيبا ، ولون يضرب الى الحمرة من أثر الشمس والجبل . نبغ فى الرماية حتى اعتبرت مهارته فى اطلاق البندقية واصابة المرمى خارقة للعادة حتى فى بلاده التى تشتمل على كثير من مهرة الرماة . ومن الأدلة على نبوغه فى هذا المضمار أنه لم يطلق قط على وعل بارودا متناثراً ، ولكنه يصيب هذا الحيوان دائما على بعد مائة وعشرين قدما برصاصة فى الرأس أو الكتف كما يشاء . وهو يستخدم سلاحه ليلا بالسهولة والحذق الذى يستخدمه بهما فى ضوء النهار . وقيل لى عن هذه الميزة النادرة التى قد لا يصدقها من لم ير كورسيكا ويجول فى نواحيها ، ما يأتى : وضعت فى الليل على بعد ثمانين خطوة من ماتيو شمعة موقدة خلف جسم شفاف من الورق فى شكل الطبق وحجمه . وأعد الرجل سلاحه ثم أطفئت الشمعة بعد لحظات . ولما جثم الظلام ثانية فى مجثمه ، أطلق أربع رصاصات ، أصابت ثلاث منها الورق وثقبته ثلاثة ثقوب وأخطأت الرابعة

وبهذه الجدارة العجيبة التى تستدر الاعجاب الشديد ، نال ماتيو أوفر حظ من الشهرة وبعد الصيت . ويقال عنه أنه كان صديقا وفيا لمن يصافيه وعدوا خطرا على من يناوئه ويؤذيه ، ومع هذا كان واسع الكف لكل طالب ، طويل اليد بالمعروف والاحسان ، يعيش فى وئام وسلام مع الناس جميعاً فى حى بورتوفشيو . ولكن يروى عنه أنه ذهب فى ميعة صباه الى « كورت » للزواج من فتاة ملكت عليه قلبه . وهناك وجد له منافسا قويا شديد المراس فى الحرب وفى الحب على السواء ، فبطش به . ويدور على الألسنة أنه باغت هذا المنافس برصاصة من بندقيته ، بينما كان هذا يحلق لحيته أمام مرآة صغيرة معلقة بنافذته . وسواء أكان هو القاتل أم غيره ، فان أمر الجريمة وقف عند هذا الحد ، وتزوج ماتيو من جيوسيبا التى يحبها ورزق منها ثلاث بنات (وكان هذا مبعث غيظه وثورته) ثم أعقبت له ولدا ذكرا أسماه فورتيناتو فكان أمل الأسرة ورجاءها ووارث اسمها الذى تعتز به وتفخر . ولما ترعرعت البنات تزوجن من فتيان أشداء وفى خفض من العيش ، واستطاع أبوهن أن يعتمد على خناجرهم وبنادقهم فى كثير من الأحوال . اما الابن فانه ما كاد يبلغ العاشرة من عمره ، حتى بدت عليه مخايل الذكاء التى تبشر باستعداد جميل ومستقبل سعيد

فى صباح يوم من ايام الخريف ، خرج ماتيو مبكراً مع امرأته لزيارة بعض قطعانه فى أحد مراعى الدغل . وأراد فورتيناتو أن يصبحهما ، ولكن أباه رفض أرضاء هذه الرغبة لبعد الشقة بين البيت والمرعى وللضرورة التى تستوجب بقاء شخص لحراسة المنزل . وسنرى مما يلى أنه حدث ما يدعو الى الندم على هذا الرفض

ذهب الرجل وزوجه لشأنهما ، واستلقى الصبي على الارض فى هدوء تحت أشعة الشمس الصاحية ، يسرح الطرف فى الجبال الضاربة الى الزرقة ، ويفكر فرحا طروبا فى يوم الاحد القريب وتناول طعام الغداء عند عمه الكابورال فى المدينة حين يطل عليه ذلك اليوم المشتهى من ثنايا المستقبل المجهول

ومرت ساعات وهو مستغرق فى تأملاته البهيجة وأحلامه السعيدة ، وعلى حين سمع طلقة نارية أفزعته ، فانتفض قائما والتفت الى ناحية السهل الذى انبعث منه الصوت ، فسمع طلقات أخري من بندقية تتوالى وتتعاقب فى فترات غير متساوية ويقترب دويها منه شيئا بعد شيء . ثم ظهر له فى أول الطريق الضيق الذى يؤدي من السهل الى البيت رجل أغبر ذو لحية طويلة ، على رأسه قلنسوة مستطيلة مدببة كالتى يحملها الجبليون ، وعلى جسمه ثوب خلق قذر متهتك من كل جانب ، وهو متهالك فى نفسه يقتلع قدميه من الأرض فى جهد ومشقة ويتوكأ على بندقية خشية السقوط ، وقد أصيب منذ لحظة برصاصة فى فخذه

كان هذا الرجل قاطع طريق (وهذه الكلمة هنامعناها هارب من وجه العدالة) ، ذهب ليلا الى المدينة لشراء رصاص لسلاحه ، فوقع فى كمين أعده رجال الشحنة . وبعد دفاع هائل عنيف ، استطاع أن يتراجع وينتقل من صخرة الى أخرى ، وهم يتعقبونه فى أصرار وحماسة وقوة . وكان بينه وبينهم مسافة تساعده على الهرب ، ولكن جرحه أفسد عليه خطته وحال بينه وبين بلوغ الدغل قبل أن يلحق به الجند ، فقصد الى بيت ماتيو أملا فى النجاة

دنا من الصبي وقال :

— أأنت ابن ماتيو فالكونى ؟

— نعم

— وأنا جيانيتو سانبيرو . الجند ذوو القلائد الصفراء يتعقبوننى فخبئنى لأنى لاأستطيع المسير لأبعد من هنا

— وماذا يقول أبى اذا ما خبأتك بدون اذنه ؟

— سيقول انك أحسنت صنعا

— من يدري
— خبئني سريعا . انهم قادمون
— انتظر حتى يرجع أبي
— كيف أنتظر ؟ ! اللعنة ! سيكونون هنا بعد خمس دقائق . هيا خبئني أو أقتلك فأجاب فورتيناتو فى ثبات ورزانة :
— بندقيتك غير محشوة ولم يبق فى منطقتك رصاص
— معى خنجري
— ولكنك لا تستطيع أن تجرى بالسرعة التى أجرى بها
ثم قفز قفزة فأصبح بعيدا فى مأمن من الرجل
— اذن أنت لست ابن ماتيو فالكونى ! أتتركنى للجند يقبضون على أمام بيتك !
فبدأ التأثر على وجه الصبي ، وقال وهو يدنو من الرجل ثانية . « ما ذا تعطينى اذا خبأتك » بحث الرجل فى كيس من الجلد معلق بمنطقته ، وأخرج قطعة ذات خمسة فرنكات كان يحرص عليها من غير شك ليشترى بها بارودا . فلما رأي الصبي القطعة الفضية هش لها وتبسم وتناولها وقال لجيانيتو : « لا تخش شيئا »

وفى الحال فتح فرجة كبيرة فى كومة من البرسيم الجاف كانت ملقاة على مقربة من البيت ، فاندفع الرجل فيها ، وغطاه الصبي ثانية بطريقة ماهرة ماكرة تبيح له دخول قليل من الهواء للتنفس ، ولا تلهم أى شك فى أن هذه الكومة تخفى فى جوفها رجلا . وفضلا عن ذلك نهج الصبي منهجا يدل على دقة هذا الوحشى واستمتاعه بقسط من العبقرية : فأخذ هرة وأولادها الصغار ووضعها على سطح الكومة لتلقى فى روع من يراها الاعتقاد بأن يدا لم تعبث بها منذ هنيهة . ثم لمح أثر دم فى الطريق قريبا من البيت فغطاه بالتراب فى عناية وبراعة ، وعاد يرقد على الأرض تحت أشعة الشمس وهو أكثر ما يكون شجاعة وهدوءا

ولم يمض بضع دقائق ، حتى وقف أمام بيت ماتيو ستة رجال فى أثواب سمراء وقلائد صفراء ، يرأسهم ضابط صف . وكان بين هذا الرئيس وماتيو فالكونى صلة قرابة بعيدة (والمعروف أن الناس فى كورسيكا يتتبعون درجات القرابة الى أبعد مما يتتبعها غيرهم فى أى مكان آخر) كان يدعى تيودوروجامبا ، وكان رجلا نشيطا كثير الدهاء يخشاه المجرمون جد الخشية لأنه قهر كثيرا منهم وأوقعهم فى قبضة العدالة

دنا رئيس الجند من فورتيناتو وقال له وهو يد من النظر فيه :

— عم صباحا يا ابن العم الصغير ! ها أنت ذا قد كبرت وترعرعت ! أرأيت رجلا مر بك منذ قليل ؟

— أوه ! لم أصبح بعد كبيرا مثلك يا ابن العم !

وكان جواب الصبي فى لهجة الجهل والسذاجة

—ستصبح مثلى فى المستقبل. ولكن اجبنى ألم تر رجلا يمر بك

— رجلا يمر بى ؟!

— نعم . لبس قلنسوة مدببة من القطيفة السوداء وسترة مطرزة بالأحمر والاصفر ؟

— يلبس قلنسوة مدببة من القطيفة السوداء وسترة مطرزة بالأحمر والاصفر ؟

— نعم . أجب سريعا ولا تكرر أسئلتى

— فى هذا الصباح ، سيدى القسيس مر ببابنا على جواده بييرو . وسألنى كيف حال أبى ؛ وأجبته . . . .

— آه ! الصغير الصغير العجيب ! انك تتصنع المكر والدهاء ! تكلم وأسرع . أية سبيل سلك جيانيتو ، وهو الرجل الذى نبحث عنه . أنى على يقين من أنه سلك هذا المستدق

— من يدرى ؟

— من يدرى ؟ ! انى أعرف جد المعرفة انك رأيته

— أيرى المرء السابلة وهو مستغرق فى النوم ؟ !

— لم تكن نائما أيها الصعلوك ، فان طلقات البنادق أيقظتك

— أتعتقد اذن يا ابن العم أن بنادقكم تنتج كل هذا الصوت الذى تحسبه يوقظ النيام ؟ ان بندقية أبى تحدث صوتا أشد وأقوى من بنادقكم ، وشتان بين الصوتين

— فلتتخطفك الشياطين أيها الولد اللعين ! أنى واثق بأنك رأيت جيانيتو ، وربما خبأته أيضا ! هيا يارفاق ، ادخلوا هذا البيت وابحثوا فيه عن المجرم الخطر انه لم يعد يستطيع المسير الاعلى رجل واحدة ، وهذا الوغد اللئيم يملك من الدهاء والذكاء ما يلهمه وسيلة يبلغ بها الدغل وهو يقفز ويعرج ، فلا تضيعوا شيئا من الوقت . ألا ترون أنه فضلا عن يقينى فان آثار الدم تقف عند هذا المكان ؟ !

فسأله فورتيناتو وهو يضحك تهكما وسخرية « ما ذا عسى أن يقول أبى اذا ما عرف أن أحدا من الناس دخل بيته فى غيبته ؟ »

فقال رئيس الجند للصبي وهو يشد أذنه « ألا تعلم أنى أملك الوسيلة التى تجعلك تغير هذه

النغمة ؟ بالحقيقة اذا ضربتك ببطن هذا السيف عشرين ضربة !

فأجاب فورتيناتو فى عزة وخيلاء وهو يواصل الضحك « أبى ماتيو فالكونى ! » سكت الرئيس قليلا ثم قال والدم فائر فى عروقه « ألا تعلم أيها الصغير العجيب أنى أستطيع الذهاب بك الى كورت أو باستيا ، وهناك ألقيك فى سجن مخيف وأضع القيد فى يديك والسلاسل فى رجليك وفيه تنام على خشبة من القش وتأكل الخبز القفار وتشرب الماء الآسن، ثم أقودك الى الموت بالجيلوتين اذا لم تقل أين جيانيتو سانبييرو ؟ !

انفجر الصبى ضاحكا عند سماع هذا الوعيد الملىء بالسخف ، وكرر قوله « أبى ماتيو فالكونى » فقال أحد الجنود لرئيسه همساً « لا تخاصم ماتيو ! » . فلما سمع هذا القول ظهرت عليه أعراض الحيرة فى جلاء ووضوح ، ثم شرع يتحدث الى جنوده بصوت خافت ، وكانوا فى تلك اللحظة قد عادوا من تفتيش البيت . ولم يكن هذا العمل مهمة تتطلب وقتا طويلا ، فان كوخ الكورسيكى لا يتكون الا من غرفة مربعة واحدة تشتمل على مائدة ومقاعد وصوان للملابس وأدوات للصيد وأوانى الطبخ . وفى أثناء حديث الجنود الخافت ، وقف الصبى يداعب هرته ، ويستمتع فى دخيلته استمتاع الخبيث الماكر بتخبط الجنود وحيرتهم وعجز رئيسهم وغضبه

ثم دنا جندى من كومة البرسيم الجاف وتفرس فى المرة لحظات ، وطعن الكومة بحربة بندقيته عرضا واتفاقا بلا غرض معين ، ثم هز كتفيه كأنما قد شعر بأن حيلته كانت غاية البله والسخف . ولم يظهر فى الكومة حركة ، ولم ينم وجه الصبى عن أقل انفعال أو جزع

كاد الرئيس يجن وجنوده . ونظروا الى ناحية السهل فى جد كأنهم مستعدون للعودة من حيث جاءوا . وانهم لكذلك اذا رئيسهم ، وقد اقتنع بأن الوعيد لن ينتج الأثر المرجو ولن يخيف ابن ماتيو فالكونى ، ففزع الى حيلة أخيرة ويحاول تجربة الدعابة والهدايا وسحر اللين والملاطفة قال للصبى :

— يا ابن العم الصغير ، انك فى نظرى جبار يقظ حريص كل الحرص ! سيكون لك شأن فى مستقبل الأيام . ولكنك تلعب معى لعبة سيئة . ولو لم أكن أخشى أن أسبب الما لابن عمى ماتيو، لجرتك معى على الرغم منك

— لغو !

— ولكن سأقص الأمر على ابن عمى عند عودته . وعقابا لك على كذبك، سيضربك بالسوط حتى يدمى جسدك

— سنرى ! وبعد

— ستری . . . ولكن أصغ الى . . . كن ولداً شجاعا فأهدى اليك شيئا

— سأهدى اليك يا ابن العم رأيا سديداً ، وهو أنك اذا تأخرت أكثر من ذلك ، أفلت جيانيتو منك وبلغ الدغل آمنـا . وفي هذه الحال سيتطلب الأمر أكثر من شجاع مرح مثلك للذهاب الى الدغل والبحث عنه

فأخرج جامبا من جيبه ساعة فضية لا يقل ثمنها عن خمسين فرنكا . ولحظ أن عيني فورتيناتوا الصغير أبرقت عند رؤيتها ، فقال له وهو يمسك بطرف السلسلة المعلقة فيها الساعة :

— أيها الشيطان الخبيث ! انك تذوب شوقا الى اقتناء ساعة مثل هذه ، تعلقها فى عنقك ، وتمشى فى أزقة بورتوفشيو فخورا كالطاوس ، ويسألك الناس . كم الساعة الآن ؟ فتقول لهم فى كبرياء . ابحثوا عن الجواب فى ساعتى !

— سيهبنى عمى الكابورال ساعة حين أكبر

— نعم . ولكن ابن عمك يملك اليوم ساعة . . . ليست فى الحق جميلة كهذه . . . ومع هذا فهو أصغر منك سنا

تنهد الصبى تنهدة عميقة ، فقال له رئيس الجند . « اذن أتريدها ؟ أترغب فى هذه الساعة يا ابن العم الصغير ؟ »

رنا فورتيناتو الى الساعة بطرف عينه ، كهرة يقدم اليها الانسان دجاجة كاملة ، فتشعر بأنه يسخر منها ، ولا تجرؤ على مد برائنها . وهى من حين الى آخر تدير عينها حتى لا تقع فى شرك الاغراء ، ولكنها تلحس فمها وتتلمظ فى كل لحظة ولسان حالها يقول لسيدها . « وما أقسى مزاحك ودعابتك ! »

ولكن جامبا أظهر حسن النية فى عرض ساعته ، ومع هذا لم يمد فورتيناتو يده ، بل قال فى بسمة مريرة :

— لماذا تسخر منى ؟

— اقسم بالله لبس فى قولى شىء من السخرية . قل فقط ابن جيانيتو ، أمنحك هذه الساعة انفرجت شفتا الصبى عن بسمة شك ، وحدق بعينيه السوداوين فى عينى جامبا محاولا أن يقرأ فيهما ما يلهمه الايمان بصدق أقواله . ورأى رئيس الجند التردد من الصبى فصاح قائلا :

— فلأفقد منصبى أن كنت لا أعطيك الساعة على هذا الشرط وهؤلاء الرفاق شهود على ، وليس فى وسعى أن أرجع فى قولى أو أخلف وعدى

وكان وهو يتكلم على هذا النحو ، يدنى الساعة رويدا من وجه الصبى حتى لمست خده المصفر أو كادت ، فبدت عليه آثار الصراع العنيف، القائم فى نفسه من جراء هذا الاشتهاء بين الرغبة الملحة والاحترام الواجب للضيافة ! وما فتىء صدره العارى يرتفع وينخفض فى قوة عجيبة كأنما هو على وشك ان يختنق . ومالت الساعة تدور وتهتز أمام عينيه ، وفى بعض الاحيان تمس فى رفق روبة أنفه ، حتى ارتفعت فى النهاية يده اليمنى شيئا فشيئا نحو الساعة المشتهاة

لمستها اطراف اصابعه ، وثقلت باكملها على كفه المضطرب ، ولكن جامبا الماكر لم يتحرك من يده طرف السلسلة . وكان سطح الساعة الداخلى فى زرقة السماء الصافية وعلبتها معقوله مجلوة حديثا ، فظهرت فى الشمس لامعة شديدة البريق .. الاغراء كان قويا مستبدا !

فلم يلبث فورتيناتو أن رفع يده اليسرى أيضا ، واشار بها بالابهام من فوق كتفه الايسر الى كومة البرسيم الجاف ، وكان ظهره مسندا اليها

ادرك رئيس الجند كل ما يريد ، وترك السلسله من يده فسقطت الساعة فى يدالصبى فابتهج بها وشعر بانه وحده مالكها ، ثم نهض فى خفة الظبى وابتعد عن الكومة عشرخطوات، فهجم عليها الجند فى سرعة مخيفة يقلبونها ويبعثرون اعوادها

ولم يمض غير لحظات حتى تحرك النبات الجاف وخرج منه رجل ملطخ بالدم والخنجر فى يده وهو يحاول ان يقف على قدميه ! ولكن جرحه الذى يرد وجد عاقه عن الوقوف فسقط على الارض ، وفى تلك اللحظة انقض عليه رئيس الجند وانتزع الخنجر من يده ، ثم شد وفاقه رثاقه على الرغم من مقاومته العنيفة

ولما ترك على الارض موثقا كحزمة من الحطب ، أدار رأسه نحوفورتيناتو ، وكان قد دنا منه ثانية ، وقال له «يا ابنى ..» فى لهجة هى أقرب الى الاحتقار منها الى الغضب . فالقى الصبى اليه قطعة المال الفضية اذ شعر بانه لم يعد يستحقها . ولكن المجرم لم يبد عليه ما يدل على أن هذه الحركة استرعت التفاته ، وقال لرئيس الجند فى هدوء وثبات « عزيزى جامبا ، لا استطيع المشى سترغمك الحال على حملى الى المدينة»

فاجاب الظافر القاسى

— لقد كنت تجرى منذ قليل أسرع من الارنب البرى ! ولكن اطمئن بالا . ان سرورى العظيم بالقبض عليك يجعلنى احملك فوق ظهرى واقطع بك فرسخا كاملا من غير ان اشعر بالتعب وعلى كل حال ايها العزيز ، سنصنع لك من الاغصان ومن معطفك محفة بديعة ، وفى مزرعة كريسبولى سنجد ما يعوزنا من الجياد

ـــ حسن . وأرجو أن تضع قليلا من القش فى محفتك استكمالا لاسباب راحتى .

وبينما كان بعض الجند منهمكا فى عمل محفة من الاغصان ، والبعض الآخر مهتما بتضميد جرح جانيتو ، ظهر ماتيو وزوجه على حين بغتة عند منعطف الطريق المؤدى الى الدغل . وكانت المرأة تتقدم محنية فى مشقة تحت عبء غرارة كبيرة من ثمار الشاهبلوط (ابو فروة) أما زوجها المتكبر المتغطرس فلم يكن يحمل الا بندقية فى يده وأخرى فى حمالة معلقة فى كتفه ، جريا على عادة أهل الجزيرة الذين يرون أن الرجل لا يليق أن يحمل شيئا آخر غير سلاحه

عند رؤية الجند ، أول فكرة جرت ببال ماتيو . انهم جاءوا للقبض عليه . ولكن لماذا جالت أذهانه هذه الفكرة ؟ أكان بينه وبين العدالة سوء تفاهم أو صله فاتره ؟ كلا . كان يتمتع بسمعة حسنة او كما يقال ، مشهورا بسراوة الخلق وطيبة القلب ، ولكن كان كورسيكيا وجبليا ، وقليل من من هؤلاء اذا نقب فى ذاكرته ! لم يجد له بعض حوادث ، كطلقة بندقية أو طعنة خنجر ، أو ترهات أخرى غير هذه . وكان ماتيو أنظف وأهدأ ضميرا من كثير غيره ، لانه منذ اكثر من عشرة اعوام لم يستخدم بندقيته ضد انسان . ولكنه على كل حال كان متبصرا بعيد النظر ، فاتخذ لنفسه موقفا يساعده فى الدفاع اذا احتاج الامر ، وقال لزوجه «امرأه ، ضعى غرارتك واستعدى » فاطاعت فى الحال ، وأعطاها البندقية التى على كتفه خشية ان تضايقه ، ثم حشا البندقية التى فى يده

وتقدم فى بطء نحو البيت محاذيا الاشجار المغروسة على حافة الطريق ، وعلى اتم استعداد عند أول حركة عدائية ، للتستر بأضخم شجرة يستطيع من خلفها ان يطلق النار وهو فى مأمن من رصاص الجند . وسارت زوجه من ورائه قدما بقدم ، ممسكة بيديها البندقية وخزانة البارود ، لان أعظم مهمة ملقاة على عاتق المرأة فى حالة النزال هى ان تحشو سلاح زوجها فى مهارة وسرعة

أما جامبا رئيس الجند فقد شعر بالم شديد حين رأى ماتيو يتقدم على هذه الصورة ، وئيد الخطو وبندقيته مصوبة الى الامام وأصبعه على الزناد . ففكر وقال لنفسه « اذا ما ظهر أن ماتيو من قرباء جيانيتو او صديق له وأراد ان يدافع عنه ، فان رصاصة بندقيته ستصب اثنين منا ، ما فى ذلك ظل من الشك ! واذا ما اتخذنى هدفا لسلاحه ، فعلى صلة القرابة العفاء ، لانها لن تقينى القتل المحقق

وفى غمار هذه الحيرة والتبلبل استقر على رأى فيه اقدام وشجاعة ، وهو ان يتقدم بمفرده نحو ماتيو ليقص عليه كل شىء ، ويقابله مقابلة الصديق القديم لصديقه . ولكن المسافة القصيرة التى كانت بينه وبين ماتيو بدت له طويلة تهول النفس وتفزع القلب

تقدم خطوة وصاح

— هولا ! هولا ! يارفيقي القديم كيف حالك ياصديقي الباسل ؟ انا جامبا ابن عمك

فوقف ماتيو ولم ينطق بكلمة ، ولكنه ، وجامبا يواصل الكلام ، كان يرفع فى بطء وهدوء فوهة البندقية . وفى اللحظة التى وصل فيها جامبا الى ماتيو ، كانت هذه الفوهة مصوبة الى السماء مد رئيس الجند يده لمصافحة ابن عمه وقال

— عم صباحا يا اخى (هذه تحية اهل جزيرة كورسيكا المعتاده) لم أرك منذ زمن طويل

— عم صباحا ياأخى

— حضرت لاقرؤك وابنة عمى السلام ، ثم أخذ سبيلى سريعا : لقد بذلنا اليوم جهدا كبيرا ولا ينبغى أن نشكو النصب ، لاننا ظفرنا بصيد ذائع الشهرة . قبضنا الساعة على جيانيتوسانبييرو

فصاحت جيوسبيا « شكرا لله ! لقد سرق مناعنزة » وليدة فى الاسبوع الماضى »

فأجاب ماتيو بقوله « شيطان مسكين ! كان الجوع يمزق احشاءه » وعادجامبا الى الحديث يقول « دافع هذا الشيطان عن نفسه دفاع الاسد المستميت ، وقتل أحدجنودى . ولم يقف عند هذا الحد . بل كسر ساق الـكابورال شاردون ، ولـكن فى هذا شر كثير لأن ، الكابورال فرنسى لا كورسيكى . ثم اختبأ فى النهاية جيدا حتى ان ابليس نفسه ما كان يستطيع ان يعثر بمخبئه . ولولا ابن عمى الصغير فورتيناتو ، لما وقفت أبدا على معرفة مكانه والقبض عليه »

ولما سمع ماتيو هذا القول ملكه الدهش الشديد وقال « فورتيناتو » وكررت زوجه كلمته فى اللهجة نفسها « فورتيناتو ؟ »

فأجاب جامبا

— نعم . جيانيتو كان مختبئا فى كومة البرسيم الجاف هذه . ولكن ابن عمى الصغير لجأ معى فى أول الامر الى المكر والخداع . سأروي لعمه الـكابورال ما حدث ليرسل اليه هدية جميلة جزاء له على الالم الذى احتمله فى سبيل اسداء هذا المعروف : سأذكر اسمه واسمك فى التقرير الذى ارسله الى النائب العام

فقال ماتيو بصوت خافت يكاد لا يسمع « اللعنة »

وانضموا جميعا الى الجند وكان جيانيتو على المحفة مستعدا للرحيل . فلما رأي ماتيو فى صحبة جامبا ، انفرجت شفتاه عن بسمة غريبة ثم ادار وجهه نحوباب البيت وبصق على عتبته وهو يقول « بيت خائن »

لم يكن فى الحياة رجل يستطيع أن ينطق بكلمة خائن وهو يوجهها الى فالـكونى ، ألا اذا كان راغبا فى الموت عازما عليه . ولو وجد هـذا الرجل الجرىء ، لغسلت اهانته فى الحال طعنة خنجر قاتله

ليست فى حاجة الى التكرار . ولكن ماتيو على الرغم من خلقه وقف جامدا بعض لحظات، ثم رفع يده الى جبينه كرجل جمجعت به المصائب واصطلحت عليه الوان الهموم

وكان فورتيناتو قد دخل البيت عند رؤية ابيه ،فخرج بعد قليل ومعه اناء اللبن ، ثم قدمه الى جيانيتو وهو خافض البصر منكس الرأس . ولكن الرجل صاح فى وجهه بصوت هائل قائلا «اليك عنى» ثم التفت الى احد الجنود وقال «أسقنى يارفيقى» ولم يسع الجندى الا ان يضم سقاءه الجلدى على فم المجرم . فشرب حتى الرى من يد رجل تبادل واياه القذائف النارية منذ قليل

ولما انتهى من الشرب ،طلب من رئيس الجند أن تقيد يداه على صدره فى شكل صليب بدلا من تركها موثقتين خلف ظهره . وقال يعزز طلبه «اريد ان انام مستكملا أسباب الراحة» فاجيب الى طلبه سريعا ، ثم أمر جامبا جنوده بالمسير، وقال وداعا لماتيو ، واتجه بخطى سريعة نحو السهل

لم يجب ماتيو على وداع جامبا ، وبقى فى مكانه صامتا لا يتحرك ولا يطرف زهاء عشر دقائق وكان الصبى ينظر بعين القلق تارة الى امه ، وأخرى الى ابيه المتكىء على بندقيته، المتفرس فيه بعين الغضب البالغ الذى يدخل على النفس الهلع

ثم قال الرجل لابنه بصوت هادىء ولكنه مفزع رهيب عند من يعرف هذا الكورسيكى العنيد «ماأعظم البداية التى ارتضيتها لنفسك» فصاح الصبى وهو يتقدم نحو أبيه والدمع يسيل من عينيه «أبى» وأراد أن يركع أمامه ، ولكن الوالد صرخ فى وجهه قائلا «الى الوراء ! اليك عنى» فارتعد الصبى وتنهد ثم ابتعد عن ابيه بضع خطوات ووقف صامتا خائفا حزينا

ولحظت جيوسيبا طرف سلسلة الساعة ظاهرا من قميص فورتيناتو ،فدنت منه وسألته فى لهجة حادة .

— من أعطاك هذه الساعة ؟

— ابن عمى جامبا

فتناول فالكونى الساعة والقاها بقوة على حجر فتحطمت وتناثرت قطعا صغيرة ، ثم سأل امرأته «أهذا الولد من صلبى»

صعد الدم الى وجه جيوسيبا حتى بدأت اجزاؤه السمراء حمراء كالآجر وقالت

— ماذا تقول ياماتيو ؟ وهل تعرف جيدا الى من توجه كلامك ،

— اذن هذا الولد هو اول شخص من سلالته وجنسه ارتكب الخيانة

وفى تلك اللحظه قويت تنهدات فورتيناتو وتضاعفت ألاته المكبوتة . وكان الوالد يحدق فيه طول الوقت بعين مفترسة ،وفى النهاية ضرب الارض بمؤخرة بندقيته ثم القاها على كتفه وسار فى

طريق الدغل وهو يصيح بابنه ان يتبعه

سار الصبى فى أثره ، وجرت الام خلف زوجها وأمسكت بذراعه وقالت له بصوت مرتعش وهى تكاد تلصق عينيها السوداوين بعينيه كانما تريد ان تقرأ فيهما مضمر نفسه

— انه أبنك !

— دعينى انى ابوه !

تراجعت جيوسيبا وقبلت ابنها، ثم رجعت الى الكوخ باكية ،فركعت أمام صورة للعذراء وصلت فى خشوع وحرقه

وسار ماتيو فى الطريق مائتى خطوة او تزيد قليلا ، فاشرف على مكان منخفض يشبه الوادى انحدر اليه وجس الارض بمؤخرة بندقيته فوجدها ندية رخوة سهلة الحفر تلائم الغرض الذى جاء من أجله ثم التفت الى ابنه وقال « اذهب الى هذ الحجر الكبير واركع الى جانبه » ولما حقق الولد مشيئة ابيه قال له هذا :

أتل صلواتك

— أبى ! أبى ! لا تقتلنى

فكرر ماتيو عبارته بصوت يهول ويرعب «أتل صلواتك»

فاذعن الصبى وغمغم وهو يصعد التنهدات بصلاة «يا أبانا الذى فى السماء» ثم بصلاة «الايمان» وكان ابوه يجيب فى نهاية كل صلاة بكلمة آمين . ثم سأله

— هل هذه هى كل الصلوات التى تعرفها ؟

— أبى ، أعرف أيضا «سلام عليك يامريم» وصلاة «الربيع» وقد اخذتها عن عمتى

— صلاة الربيع طويلة جدا ، ولكن لا اضن عليك ببعض دقائق

ولما تلا الصبى بصوت ضعيف كانه ينبعث من قبر ، سأله ابوه

— هل انتهيت ؟

— أوه ! أبى ،عفوا ! اصفح عنى ! لن اعود الى مثل ما فعلت ! سأضرع الى عمى الكابورال حتى يحصل على العفو عن جيانيتو

وفى أثناء حديثه ، حشا ماتيو بندقيته ووضعها تحت خده الايمن ، ثم قال «ليغفر لك الله» وأدرك الصبى أن اباه سيقتله ، فحاول فى جهد اليائس أن ينهض ويقبل ركبتى ابيه ، ولكن الوقت لم يتوافر له ، لان ماتيو اطلق عليه النار . فوقع على الارض جثة هامدة

ولم يلق الرجل نظرة على جثة ابنه ، بل اخذ طريق بيته ليحضر فأسا يحفر به قبرا وما ان سار بضع خطوات حتى رأى امرأته جيوسيبا مقبلة نحوه ، وكانت قد سمعت دوى الرصاصة فهفا قلبها

من الفزع وخفت الى زوجها ركضا . فلما بلغته سألته فى صرخة الرعب والجزع ماذا فعلت !

— اقمت العدل

— اين هو ؟

— فى المنحدر . ساقوم بدفنه الآن . لقد مات مسيحيا ، وسأقيم من اجله قداسا حتى ينعم روحه بسلام الخلود . فلندع صهرى «تيودورو بيانكى» للحضور والاقامة معنا

حسن صادق



الخمر بين الاباحة والتحريم

لسلامة موسى فى مناظرة مع الاستاذ احمد غلوش رئيس جمعية منع المسكرات

انى فى هذا الموقف مع الاستاذ غلوش لا أريد أن أنكر ان الخمور تبعث أحيانا على الآثام ولكنى أحدد موقفى معه فى شيئين :

الاول : أن الحكومات العصرية ترى نفسها مضطرة الى أن تجيز وتبيح أموراً هى أسوأ من الخمور التى ترى بعض الحكومات أنها سيئة ولكنها تبيحها لأن ظروف الحضارة العصرية تقتضى ذلك

والثانى : ان الخمور ليست فى ذاتها داء وانما هى دواء من داء . فالرجل الذى يطلب الخمر يطلبه لأن فى صدره ضيقا أى فى نفسه كبتا يحتاج الى التفريج والتنفيس

وبعد هذا نقول أن الخمر التى يطلب الاستاذ غلوش تحريمها هى مع ذلك اختراع مصرى قديم وهى من أبدع المخترعات التى جعلت الانسان يطيق الحضارة . فان رباً قديماً من أرباب جدودنا أوزوريس هو الذى اهتدى إلى زراعة القمح وصنع البيرة وكان يطوف فى أنحاء العالم لكى يعلمها للناس . وأكبر الظن ان الانسان اهتدي الى خميرة الخبز من خميرة البيرة . ومن هنا نعرف أنه حتى خبزنا يحتوى خمراً . وهو ان لم يحتو الخمر — عن طريق الخميرة — كان فطيرا لاتهضم أمعاؤنا منه غير القليل . ومهما حرم الاستاذ غلوش على نفسه الخمور اللذيذة فانه بلا شك يتناول الخمر كل يوم على الرغم منه فى الخبز الذي يأكله لأن هذا الخبز قد خلطت عجينته بخميرة هى فى أغلب الظن خميرة الشعير أي خميرة البيرة

***

ولكن الخمر أرفع من أن نتحدث عنها هذا الحديث المبتذل ونذكرها الى جنب العجين والخبز . وأنى أسأل الأستاذ غلوش عن الحضارات القديمة والحديثة هل واحدة منهن قامت بلا خمر ؟ واين كان يكون شعر الشعراء بلا خمر ؟ وهل كان يمكن ابا نواس أن يمتع عصره بهذه الاشعار الخالدة لوكان قد جهل الخمر ؟ بل هل كان عمر الخيام يستطيع أن يفلسف لولم يشرب الخمور ويعرف منها فترات السعادة التى جعلته ينعى على الدنيا وفرة همومها ؟

لابل ان الخمر قد أنعشت حتى أولئك الذين لم يشربوها ومنحتهم من ثقافتها ما جعلهم

يرتفعون فوق أنفسهم ويسكرون بخمر التصوف كهذا الشاعر العظيم أبن القارض الذى استخرج من أسماء الخمور ومعانى السكر اسمى معانى التصوف والتجلى . وهكذا الشأن أيضا فى كثير من الصوفيين الملهمين أوحت اليهم الخمر اسمى المعانى حتى أنهم عند ما اهتدوا الى شجرة البن وعرفوا قيمتها فى تقويتهم على السهر والصلاة أطلقوا عليها اسم القهوة أى الخمر

وهذا هو تاريخ العرب كان حافلا بالأدب الرائع حينما كانت الخمور مباحة حتى كان مجلس الخمر يعنى مجلس الأدب . وحتى ان اعظم كتب الادب فى اللغة العربية وهو الاغانى انما هو محاضر دونها المؤلف عن جلسات كانت تعقد للخمر والغناء . ولا اكاد أتخيل ان مثل هذا الكتاب العظيم كان يمكن أن يؤلف لولا هذه الخمر التى يجحدها الاستاذ غلوش بلا حق

لقد كان للعرب أدب وأدب رائع حين كانوا يترخصون فى شرب الخمور. فلما فشا بينهم أمثال الاستاذ غلوش وشرعوا يسودون الدنيا فى وجوههم ويحضونهم على تركها وتحجوا فى ذلك مات الادب . وهذا هو مارأيناه فى عصرنا . فان أحسن شعرائنا - عليه رحمة الله - كان سهيراً سكيرا لاتنتق بمقابلته الا فى منتصف الليل وعند تلك الحانات التى تنتشر عند شوارع السرور . ثم هذا شيخ من شيوخ الادب الاحياء الذين نعجب بهم لا يزال يختار فى الادب ويختار فى الخمر ومختاره حسن فى الحالين . وهو يحلو بالخمر ذهنه ويصطبح بها ويغتبق ويعرف ان الله غفور رحيم .

***

لاتكاد أمة على شيء ضئيل من الحضارة تخلو من الخمر . ولكن الامم الشرقية على كل حال لاتعتنق مذهب الخمر كما تعتنقه الامم الاوربية . ولا أظن أن أحداً يثنى على الامم الشرقية لهذا السبب فان الغربيين المخمورين قد تغلبوا على الشرقيين الصاحين . ولم تزعزع الخمور اخلاق الغربيين وان كان الشرقيون لم ينتفعوا بصحوهم

ولكن هل الشرقيون مع ذلك لا يحبون أن يغيبوا عن الدنيا فترة من الوقت وهل هم يديمون الصحو ؟

لو كان الامر كذلك لما عرفنا اسم الافيون والحشيش وسائر المخدرات التى اضطرت الصين هذا الشهر الى فرض عقوبة الاعدام على صانعها ومتناولها كما فعلت اليابان من قبل

وتفشى هذه المخدرات برهان على أن الانسان فى الحضارة محتاج الى أن يغيب عن صوابه ووجد انه فترة من الوقت ومادام الامر كذلك فالخمور خير ما يتيح له هذه الفرصة

وقد حاولت الولايات المتحدة أن تلغى الخمور والغتها بالفعل نحو عشر سنوات ثم عادت الى

أباحتها لأنها وجدت أن الحظر قد أفشى عادات سيئة دون أن يؤدي أي نتيجة مفيدة. فان الخمور كانت تصنع أيام الاباحة وهي تحت اشراف الحكومة ورقابتها فكان للحكومة أثر حسن في منع السيء من الخمر فلما حظرت صارت المصانع تصنعها في الخفاء ولا تبالي أن تصنع أسوأ الخمور لانها لم تكن تخشى اشراف الحكومة ومراقبتها إذ انها كانت عند ماتضبط يستوي عند القاضي الحسن والسيء من الخمور وهو يعاقب صانعها في الحالين بعقوبة واحدة. ففشت لهذا السبب خمور سيئة تباع بأغلى الأثمان كما فشت مخدرات أخري هي الموت المجسم

وظني اننا لو حظرنا بيع الخمور في مصر لحدث لنا مثل ماحدث في الولايات المتحدة أي أنه تتفشى بيننا الخمور السيئة والمخدرات الشيطانية الاخرى. ثم بعد ذلك نعود كما عادت الولايات المتحدة الى اباحة الخمور

***

ان الكرمة من الاشجار التي تزكو في التربة المصرية ولوكنا دائبين في غراسها ندوس زبيبها ونعصر خمرها كما كان يفعل جدودنا لكان ريفنا أغنى الريف في العالم. بل لقد كان كذلك مصر أيام الرومان وهذه فرنسا تبيع من خمورها التي تعصرها من كرومها أكثر مما نبيع من قطننا عشرين بل ثلاثين ضعفا. وتربتنا في جونا الدافىء هذا أليق لنمو الكروم من التربة الفرنسية وكان يمكننا أن نصبح من أغنى الامم لو اننا كنا نغرس الكروم ونعصر زبيبها حتى ولو لم نشرب خمورها

وريفنا بخلوه من الخمور يخلو من السرور. وهو مع ذلك لايخلو من المخدرات الشيطانية ومن الخمور السيئة. ولما كنا في اعقاب الحرب الكبري وتعالت أثمان الخمور تفشت بيننا المخدرات المهلكة وأظلمت العقول وطغى عليها الجنون. وقد كان هذا ثمرة الغلاء فقط فماذا تكون ثمرة الحظر التام ؟

***

لقد عاشت الامم في الحضارة مايقرب من سبعة آلاف سنة وكلها قد أباحت الخمر بالقول أو بالفعل. ولايسعنا أن نجحد الاختبارات التي اجمعت عليها جميع الامم ثم نفور في حماسة وقتية ونقول بالحظر والالغاء.

وقد أشرت في أول كلمتي الى شيئين أولهما أن الحكومات العصرية ترى نفسها مضطرة الى ان تبيح أشياء كثيرة قد لا نوافق عليها. والثاني أن الرغبة في الخمر ليست داء بل هي دواء

وهنا احتاج الى بعض الايضاح السيكلوجي فان الحضارة التي نعيش فيها ليست طبيعية وهي

كلما أبتعدت عن الزراعة كانت أبعد عن الطبيعة ولذلك فان الفلاح أقل رغبة فى الخمور من ساكن المدينة الذى يقضى نهاره فى المصنع أو المكتب أو المتجر . فان الاعصاب هنا تتوتر والضيق يأخذ بالصدر والنفس تريد أن تنفجر

وعندئذ يحتاج المرء الى أن يهرب من الحقائق ويغيب عن هذا الواقع القاسى . واقرب السبل وأيسرها هو كأس من الخمر يقول فيها لسان الحال :

وإذا سكرت فاننى رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فاننى رب الشويهة والبعير

ففى الصحو يؤلمنا الا نملك غير الشاة والبعير ولكن الخمر تحيلنا ملوكا نتوهم اننا نملك القصور الفخمة والجياد المطهمة

فالخمر وسيلة للتفريج أى أن النفس الضائقة بالعمل المجهد أو الحال التعسة أو العواطف المكبوتة او الغيظ المكظوم تجد فى كأس الخمر سبيلا الى التخفيف من هذا الكظم أو الكبت أو الضيق . فالخمر هنا ليست داء وانما هى دواء لوسط اجتماعى سيء . ولذلك سرعان ما يقل استهلاك الخمر ويترك الناس الشراب اذا وجدت وسائل أخرى للتفريج . فان استهلاك الخمور مثلا قد نقص فى انجلترا لان وسائل التفريج بالاتومبيل والسينماتوغراف والراديو فون قد كثرت فاخذت مكان الخمور . اى ان الشاب الضائق بنفسه لم يعد — كما كان يفعل سلفه — يعابر الى الحانة لتفريج كربه وما لقيه من عنت الرئيس أوجهد العمل بل صار يفكر فى الالتجاء إلى أحد هذه الملاهى الاخرى

ولكن حتى مع الاعتراف بقيمة هذه الملاهى لا أكاد أتخيل عالما بلا خمر . اذ كيف نأتنس باصدقائنا ونقضى معهم سويعة من الهناء والصفاء اذا لم نشرب معهم ونضحك واياهم بعض الكئوس التى تنسينا نقائصهم الانسانية وتوهمنا أنهم من الملائكة يحبوننا ونحبهم ولا يعرفون منا ولا نعرف منهم غير النية الحسنه والعاطفة السخية ؟

ان فى الحياة من الاختبارات المرة مايجعلنا نفر منها . بل هناك مايثبت أن بعض النوم هو فرار من سأم الوجدان . وانه كلما ازدياد السأم ازددنا رغبة فى النوم . وأحيانا نهرب من الواقع المر بان نستسلم للخيال والخواطر اللذيذة فنتوهم أن المرتب قد زاد الى ثلاثة أضعافه او اننا قد حصلنا على ثروة ضخمة ونلنا أعظم المراتب . ولا تزال حلقات هذه السلسلة تأخذ الواحدة منها بالاخرى فى خواطر لذيذه يتسلط فيها العقل الباطن حتى نصحو و نعود الى الواقع المؤلم ونفكر بالعقل الظاهر

وهذه اللذة لذة النوم ولذة الخواطر هى نفسها التى ننشدها حين نلجأ الى الخمر التى نتداوي

بها من سأم الحياة والتى تساعدنا على الغيبوبة الجزئية وعلى التذاذ الخواطر التى ترفعنا الى مقام الملوك نملك الخورنق والسدير وننسى اننا لا نملك غير الشاة والبعير

والى أن يأتى اليوم الذى تخلو فيه الحياة من مرارتها سنحتاج الى الخمر لكى ننام بها ولكى تطلق للعقل الباطن عنانه فيها . فان حياتنا ملأى بالغموم حافلة بالهموم نعيش فيها مجهودين مكدودين نمارس من الاعمال مالعلنا تكرهه ولكننا نكره على ممارسته لكى ننال منه الاجر الذى نعيش به . ونرى حولنا من التفاوت الاجتماعى مايوهمنا باننا مظلومون ثم تقع بنا المآسى التى يجلبها علينا التدبير السيء منا أو من غيرنا حتى تعود الحياة وهى مرة نرجو منها الافلات . وطريق الافلات هو الخمر





رحلتي الى حوض الدانوب

للاستاذ فرج جبران

كنت دائماً أسمع عن « الدانوب الأزرق » وأقرأ عنه فأمتلىء شوقاً لرؤيته حتى أتبين اذا كان حقا ما يروى الجغرافيون والسائحون عن جماله وجمال شواطئه . . . وأخيرا سنحت لى هذه الفرصة النادرة فقمت برحلتى فى نهر الدانوب . هذه الرحلة التى أصفها الآن

فى الساعة الخامسة من اليوم الثالث من شهر أغسطس الماضى اقلعت بنا الباخرة ، متجهة صوب « بيريه » وبعد ٢٠ ساعة كاملة فى البحر . أى فى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالى كنا نسير بين جزيرتين هما « سكاربنيا » الى اليمين وكريت الى اليسار . وفى صبيحة اليوم الثالث كنا فى ميناء بيريه أو بيروس وهو ثغر أثينا عاصمة اليونان كما تعلمون

ولما كانت الباخرة لا تقف عنـد ثغر بيريه الا ساعات معدودات لا تزيد على الخمس أو الست فقد أسرعنا بالنزول منها والانتقال بترام أشبه بترو مصر الجديدة من بيريه الى أثينا لـكى نزور معاملها وآثارها .

فى أقل من ١٥ دقيقه كنا فى أثينا بلد المدنية القديمة وأول ما يظهر منها « الاكروبول » وهو بناء أثري كبير أعاد الى ذاكرتى معبد الـكرنك فى طيبه ولو أن آثاره قليلـة اذا قيست بما يضم الـكرنك . وقد كان الاكروبول مقر ملوك اثينا الاوائل ثم تحول الى معابد متعددة للآلهه .

والآثار الباقية ليست فى حالة جيدة اذ تهدم معظمها وقد رأينا منها « البارتنون » وهو معبد آلهة الحـكمة وبه نحو ١٠٠ عمود من الرخام الأبيض .

وزرنا متحف أثينا وبه مجموعة لا بأس بها من لاثار ولـكنها لا تقاس بما يضمه جناح واحد من المتحف المصرى .

وبعد جولة فى طرقات أثينا أعقبها تناول الغداء عدنا بسرعة الى بيريه لكى نستقل الباخرة . وقد أقلعت بنا فى عصر ذلك اليوم فى طريقها الى تركيا وأخذت تسير بين جزر متعددة .

وفى صباح اليوم الرابع للرحلة استيقظنا مبكرين ولما صعدنا الى ظهر الباخرة وجدنا اننا نسير بين ربوتين هما مدخل بوغاز الدردنيل المشهور منذ أيام الحرب العظمى وتذكرنا ونحن نرى الحصون المشيدة على الجانبين عدد الضحايا الذين غرقوا فى تلك البقعة فى أثناء الحرب . . وقد

قطعت الباخرة بوغاز الدردنيل في اكثر من خمس ساعات وجدنا انفسنا بعدها في بحر مرمرة فأخذ ساحله الاسيوي يغيب عنا ثم لحقه الآخر وقد مررنا في طريقنا بمدينة غاليبولي .وقد اشتهرت هي الأخرى منذ الحرب العظمى .

وفي مساء ذلك اليوم الرابع نفسه ، حوالى الساعة الخامسة بدأت استانبول العظيمة في الظهور وكان أول ما ظهر منها مآذن مساجدها العظيمة المتعددة وقبابها الكثيرة المميزة . وكانت المساكن كذلك تبدو بسقوفها على مدرجات المرتفعات .

كان المنظر جميلا يأخذ بمجامع القلوب ولا يمكن ان أنساه أبدا حتى لقد اجتمع معظم ركاب السفينة على ظهرها يتمتعون بمنظر عروس البوسفور وعاصمة السلاطين وقد شغلوا بهذا المنظر عن كل شيء آخر . ومما يجدر ذكره اننا كنا كلما اقتربنا من استانبول ازداد منظرها جمالا .

كنا نرى الى يميننا الجانب الأسيوي حيث تقع مدينة اسكدار والى يسارنا استانبول وبجانبها « القرن الذهبي » وعليه قنطرة اسمها قنطرة غلطا تصل بين استانبول القديمة وحيها الاوروبي الحديث الذي يطلقون عليه اسم بيرا

ورست الباخرة عند مدخل القرن الذهبي وغادرناها سراعا لكي نرى تلك المدينة التي أسرنا جمالها عن بعد . . . وقد زرنا بعض الجوامع الشهيرة كالجامع الأزرق أو جامع السلطان احمد وله ست مآذن دقيقة وهو من أجمل جوامع استانبول ثم انتقلنا بعد ذلك الى أيا صوفيا الذي حول الى متحف في المدة الاخيرة . ولعلك تعرف من تاريخه أنه كان كنيسة في مبدأ الامر ثم تحول الى جامع ولكن الصليب لا يزال يظهر على كثير من جدرانه . وقد أمر كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية في المدة الاخيرة بأظهار النقوش القديمة الاصلية التي كانت تغطي جدران أيا صوفيا والتي كانت مندثرة تحت طبقات من الطلاء . ولكنك إذا دخلت أيا صوفيا وجدت الآيات القرآنية لا تزال باقية على حالها وقد صيغت من الذهب الخالص .

وبعد أن تجولنا في المدينة انتقلنا الى الحي الجديد بيرا Péra حيث قضينا السهرة نستمع الى غناء إحدى المطربات التركيات وكنا لا نفهم شيئا مما تقول ولكننا مع ذلك كنا مغتبطين به لأنه كان كثير الشبه بغناء بلادنا المحبوبة . . . كما كانت الموسيقى كثيرة الشبه بموسيقانا .

وعدنا الى الباخرة متأخرين في ذلك المساء حيث نمنا بقية الليل واستيقظنا مبكرين فخرجنا منها وبدأنا اليوم بزيارة جامع جديد كبير هو جامع السلطان سليمان القانوني . وأتبعنا ذلك بزيارة السوق القومي ويطلقون عليه اسم «البازار» وهو كثير الشبه بخان الخليلي عندنا اذ تجد الازقة فيه ضيقة متعددة والحوانيت صغيرة متلاصقة ، وفيه يمكن أن يأخذ الزائر فكرة صحيحة عن تركيا القديمة .

اما تركيا الحديثة فمظهرها يلمسه الزائر فى الرجال والنساء وهم يسيرون بقبعاتهم وفى انعدام الحروف العربية انعداماً باتاً . . .

وعدنا قبل الظهر إلى الباخرة . . فما لبثت أن أقلعت بنا ظهراً وأخذت تتهادى فى القرن الذهبي وتستعد لدخول بوغاز البوسفور وكانت المناظر الطبيعية جميلة جداً فغادرنا جميعاً مائدة الطعام قبل أن ننتهى منه وصعدنا بسرعة الى ظهر الباخرة فرأينا المرتفعات والمدرجات تكسوها الأشجار الخضراء أشجار الفاكهة والزيتون وقد ظهرت بينها بعض المساكن (الفيلات) والمآذن العالية واستلفت نظرنا بنوع خاص قصر « ضولمه بغجة » المشهور مقر السلاطين فيما مضى . . . وكان البوسفور يضيق احياناً ويتسع أحياناً أخرى وفى الأماكن التى يضيق فيها توجد بعض القلاع . . .

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر شعرنا جميعاً بالأسف العميق ونحن نخرج من البوسفور الجميل لندخل البحر الأسود ولا أحسب ان بيننا من يعتقد أن ماءه أسود اللون حقاً . . ولكنه على العموم مضطرب المياه تجتازه العواصف وتظلله السحب القاتمة ومنها اكتسب اسمه ولكننا لحسن الحظ اجتزناه فى هدوء . . . وما لبث المساء أن أرخى سدوله فعدنا الى حجراتنا وآوى كل منا الى فراشه .

كانت الساعة الرابعة صباحاً لما استيقظنا فى صباح اليوم التالى فعلمنا أن الباخرة قد رست فى محطتها النهائية : قسطنزا أو قسطنطة كما يسميها أهل رومانيا . قسطنزا ميناء صغير لطيف خفيف الدم وقد رأينا هناك بعض المساجد كما كان بعض الأهالى يلبسون الطرابيش وذلك من آثار الحكم التركى القديم الذى كان يمتد الى تلك الجهات فى وقت ما . وانتقلنا من قسطنزا بالقطار إلى إحدي ضواحيها واسمها إفوريا Eforia وهى أشبه بالرمل من الاسكندرية وهناك زرنا معسكر الـ O.N.E.F. أو (الأونيف) كما يقول الرومانيون . وأحب أن أذكر كلمة قصيرة عن الـ O.N.E.F وهى اختصار لكلمة الادارة الوطنية للتربية البدنية . هذه الادارة النافعة أشبه بوزارة فى رومانيا يرأسها جنرال فى الجيش برتبة وزير وهى تشرف على التربية البدنية والألعاب الرياضية إشرافاً تاماً كما أنها تقوم بأعداد مدرسى الألعاب ومدربيها فى معسكراتها المختلفة ولها فى الصيف هذا المعسكر الذى زرناه فى ايفوريا ضاحية قسطنزة . . أما فى الشتاء فلديها مراكزها الكبيرة وملاعبها فى العاصمة الرومانية . وفى هذا المعسكر الذي زرناه والذى يقوم على مقربة من البحر الأسود رأينا وسائل التدريب على جميع الألعاب الرياضية حتى الرماية ، كما وجدنا فيه حماماً للسباحة أغرانا فى الحال بنقاء مائه وباتساع حجمه على الاشتراك مع المستحمين والمستحمات فى رياضتهم وأراد بعضنا بعد ذلك أن يخلد ذكرى زيارة رومانيا الجميلة بالاستحمام فى البحر الأسود فغادر الحمام إلى البحر نفسه حيث أتم الاستحمام .

غادرنا قسطنزة فى الساعة الثالثة بعد الظهر بوساطة القطار ميممين شطر بوخارست العاصمة

الرومانية فسار بنا فى سهول منبسطة عظيمة الاتساع زرع فى معظمها القمح والذرة وكنا نرى النساء يعملن الى جانب الرجال فى الحقول . ووصلنا الى العاصمة فى المساء وكان التعب قد حل بنا ففضلنا الراحة على كل شىء آخر . . . استعدادا للغد.

بوخارست مدينة عصرية جميلة ويسميها الرومانيون « بوكوريشتى » وهم يفخرون بها ويقولون إنها باريس الصغرى . . والحق أنها أعادت الى مخيلتى وأنا اختال فى طرقاتها لبلا ذكرى باريز العظيمة

وقد جلنا فى طرقاتها وزرنا متحفها وقبر الجندي المجهول فيها ثم خرجنا بعد الظهر الى ضواحيها بالسيارة حيث استمعنا إلى موسيقى الغجر Tsiganes وهى تبعث على التأثير لرقتها وعذوبتها . وفى اليوم التالى وهو الثامن للرحلة ذهبنا فى زيارة لجبال الكربات مع أستاذ فى الجامعة الرومانية يتكلم الانجليزية بطلاقة فمررنا فى طريقنا بآبار البترول المشهورة فى تلك المنطقة واسمها كانبينا بلويشتى ثم بسنايا وهى بقعة مرتفعة تبعد عن بوخارست ساعات قليلة بالسيارة وبقوم عندها القصر الصيفى للملك كارول وقد قامت إلى جانبه بعض الفنادق الفخمة يؤمها الطبقة الغنية فى فصل الصيف. وقد سمح لنا بزيارة قصر الملك من الداخل فوجدناه فى غاية الجمال والفخامة ، ثم صعدنا بعد ذلك مسافة طويلة فى جبال الكربات حتى أخذنا نشعر بالبرد وقضينا ليلتنا فى « تيميشيلديسوس » بمعسكر جمعية الشبان المسيحية وكنا نرتجف بردا ولكنها كانت ليلة ظريفة على كل حال رغم شدة البرد ورغم نومنا على القش إذ أنها أعطتنا فكرة عن حياة الجبال . ولما استيقظنا فى الصباح كنا نرتجف فلم نجد علاجا غير الأشتراك فى الألعاب السويدية المتتابعة حتى ندفأ ، وغادرنا المعسكر حوالى الساعة التاسعة بالسيارات فى طريقنا إلى بوخارست فوصلناها حوالى الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخذنا نستعد بعد ذلك للسفر إلى جورجو وهى قرية صغيرة واقعة فى جنوب بخارست ولا تبعد عنها بأكثر من ساعتين ونصف ومنها يبدأ السفر بالسفن الكبيرة فى نهر دانوب .

« • »

وأقلعت بنا الباخرة من جورجو حوالى الساعة العاشرة مساء فكان ذلك أول عهدنا بالملاحة فى الدانوب العظيم . اننا نعرف أن الدانوب يفصل دولا عدة بعضها عن بعض فلما استيقظنا فى صباح اليوم التالى كانت الباخرة تختال بنا عرض النهر وكان شاطىء رومانيا يمتد عن يميننا وشاطىء بلغاريا يمتد عن يسارنا

كانت المناظر الطبيعية على الشاطئين من أجمل ما رأت العين تبعث الأعصاب على الراحة وتهيب بالانسان أن يتأمل فيما أبدعته يد القدرة الالهية . كانت الأشجار اليانعة الخضراء تملأ الشاطئين على

أراض منحدرة متدرجة مقسمة فى زراعتها وخاصة على الشاطىء البلغاري وكنا نرى بعض المراعى ترتع فيها الماشية والأغنام كما كنا نتقابل فى عرض النهر بالبواخر وقوارب الصيد الكثيرة وكانت البواخر والسفن التجارية تقف عند المحاط لتفرغ البضائع او لتحملها ، وتتصل هذه المحاط النهرية مباشر بالطرق الحديدية مما يدل على أن القوم عرفوا كيف يستفيدون من النهر فى نقل متاجرهم.

وبعد ظهر اليوم وقفت بنا الباخرة عند قرية بلغارية هى قرية « لوم » وقد أمكننا ان نغادر الباخرة وننزل اليها لنجوب أرجاءها ولكنها فى الواقع لم تكن تستحق عناء النزول فقد كانت طرقها قذرة وأهلها يبدو عليهم الفقر فرجعنا قبل أن نتوغل ولكننا لم نرفض أن نرجع بأيد فارغة كما يقولون فاشترينا شيئا من الفاكهة وهى كثيرة رخيصة الثمن هناك .

فى صباح اليوم التالى . وكان الحادى عشر لرحلتنا ، كنا نسير الى جانب شواطىء يوغوسلافيا وقد أخذنا نستعد لرؤية الباب الحديدى المشهور فى ذلك الجزء ، وقد أخذت الباخرة تسير بنا فى أجزاء دقيقة من النهر تنحنى وتضيق بسرعة حتى كاد يخيل الينا أحيانا أن الباخرة قدضلت طريقها وأنها وصلت إلى جزء مسدود فى النهر وعما قريب تصطدم بتلك الجبال الشاهقة التى كانت تقوم فى وجهنا وقد كست الأشجار سفوحها ... ولكنها سرعان ما كانت تنحنى هى الأخرى مع النهر قبل أن تدرك الجبال أو تلمسها ولتسهيل الملاحة هناك أو بالأحرى لجعلها ممكنة أنشأ القوم جسرا من الصخر القوى عند منتصف النهر وأحلوا الجزء الواقع بين هذا الجسر وبين شاطىء يوغوسلافيا من الصخور والجنادل التى كانت تعترض المجرى حتى صارت الملاحة فيه سهلة — وصار هذا الجسر دليلا يهدي السفن إلى المنطقة التى يجب أن تسلكها فى هذا الجزء من النهر إذ أنه إلى يسار الجسر ظلت الجنادل والموانع قائمة كما كانت .

الملاحة فى هذا الجزء من الدانوب شديدة الخطر إذ المنحنيات فيه كثيرة كما قلت والدوامات قوية والجنادل متعددة ولولا علامات خاصة أقيمت على أخشاب طافية على الماء لارشاد السفن لتعذر عليها اجتياز ذلك الجزء .

ولم تخرج السفينة من هذا الجزء إلا بعد سير ثمانى ساعات كاملة أخذ شاطئا النهر بعدها فى الانفراج وهكذا خلفنا البـــاب الحديدي بمناظره الساحرة الفاتنة التى لا تنسى ... وخلفنا ورائنا شواطىء رومانيا الجميلة التى أبت إلا أن تودعنا حتى هذا المكان مبالغة منها فى الكرم ... وطلب منا هنا أن نؤخر ساعاتنا ساعة كاملة حتى تتفق مع زمن وسط اوربا .

وفى مساء ذلك اليوم وصلنا إلى بلغراد عاصمة يوغو سلافيا ولكنها كانت أقل كرما من بلاد الدانوب الأخرى فلم يسمح لنا المسئولون بالنزول منها ولو لحظات بحجة أن جوازات سفرنا لا تحمل

تصريحا بذلك . فظللنا فى الباخرة أمامها ننظر إلى أنوارها المتلألئة وإلى أهلها بحسرة حتى قامت بنا الباخرة تشق طريقها فى الماء من جديد .

تمتد بلغراد أو بيوجراد كما يسميها أهلها مسافة طويلة على النهر . وقد وجدنا شيئا من العزاء فى البقاء على ظهر السفينة نتفرج على المدينة من بعد حتى تأخر الليل فأوينا إلى مخادعنا . وفى صباح اليوم التالى كنا لا نزال فى عرض الدانوب ولكننا كنا قد اجتزنا شواطىء يوغوسلافيا وبدأت سهول المجر تمتد على يميننا منبسطة زاهرة . وحوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا إلى قرية مجرية اسمها موهاتشى مشهورة بحدوث إحدى وقائع الحرب العظمى عندها فوقفت السفينة ونزلنا منها نسير فى طرقاتها ونشترى بعض الصور وأخيرا عدنا فوجدنا الباخرة قد ذهبت لاحضار ما يلزمها من الفحم فبقينا فى مشرب قريب وحضر الينا بعض النور أو الغجر فأخذوا يسمعوننا أنغام موسيقاهم الشجية حتى عادت السفينة وحملتنا ثم استأنفت رحلتها .

* * *

فى فجر اليوم التالى ، وكان اليوم الخامس لملاحتنا فى النهر ، وصلنا الى بوادبست ، عروس الدانوب وأجمل المدن التى تقوم على شاطئيه بلا نزاع . ولما كان لا بد لنا من أن نبقى فى بودابست وقتا مناسبا حتى يمكن أن نراها كما يجب لذلك غادرنا الباخرة آسفين على أن نسافر الى فينا بالقطار

اذا دعيت بودابست ملكة الدانوب فهى تستحق هذا اللقب بحق فالدانوب يقسمها قسمين الأول بودا والثانى بست . وبودا هى المدينة القديمة التى تضم القصر الملكى الكبير وكنيسة التتويج ودور الوزارات والمتحف الحربى وتتخللها الحدائق الزاهرة والعيون الطبيعية ، وقد كانت فيما مضى وهى تحت الحكم التركى تحوى ٤٠ مسجدا اندثرت اليوم وتحول معظمها إلى كنائس ومتاحف بل قيل لنا إن مسرح بودا كان فى الأصل مسجدا أما المدينة القائمة إلى اليمين فهى بست Pest المدينة العصرية الحديثة وأهم الدور الموجودة بها دار البرلمان المجرى وهى تعد من أفخم دور البرلمانات فى العالم أجمع والظاهر أنها أقيمت على ضفة الدانوب بمدينة Pest فى الجزء المقابل للمكان الذى يقوم فيه القصر الملكى بمدينة بودا ... لكى تكون دليلا على قوة البرلمان يذكر الملك دائما بأن الشعب هو مصدر السلطات .

ولعلنا نتساءل عن بودا وعن بست : إذا فكيف نعتبرها دائما مدينة واحدة ونقول إن عاصمة المجر هى بودابست . الواقع أنهما مدينة واحدة إذ تصل بينهما عدة قناطر جميلة تسير عليها وسائل النقل المختلفة فتحمل الناس بسرعة من بودا إلى بست وبالعكس وأفخم هذه القناطر كلها هى قنطرة اليصابات .

وقد زرنا بعد ظهر اليوم الأول لوجودنا فى بودابست جزيرة جميلة تقع فى شمال المدينة بين ضفتى النهر واسمها جزيرة سانتامرجريتا،وهى تتصل بالمدينة بوساطة قنطرة.وجزيرة سانتامارجريتا من أجمل المتنزهات التى وقع عليها نظرى فى العالم إذ هى عبارة عن مجموعة من الحدائق الملأى بالأزهار الجميلة ذات الألوان المختلفة وقـد نسقت كلها فى نظام بديع . . . وقد أنشأوا بها بعض المشارب والحمامات ولكن ذلك لم يفقدها هدوءها وجوها الخيالى الممتع . وإلى هذه الجزيرة يهرع سكان بودابست بأطفالهم وأولادهم طول اليوم وقد فرضوا للدخول إليها رسما بسيطا .

وفى صباح اليوم الثانى زرنا بعض الحمامات المشهورة فى بودابست ثم زرنا القصر الملكى وهو كما قلت يشرف على النهر وفيـه نحـو ٨٦٠ غرفة تتجلى فى كل واحدة منهـا عظمة الفن. ثم زرنا كنيسة التتويج وقد دعيت كذلك لأن الامبراطور فرانسو جوزيف توج فيها .

وزرنا كذلك حصنا اسمه حصن صيادى السمك . خرجنا بعد ذلك إلى طرقات المدينة نجوبها فلم يستلفت النظر فيهـا غير كثرة الميادين والمتنزهات والقناطر المقامـة فوق الدانوب لتصل بين المدينتين . وفى كل ميدان من الميادين تتعدد التماثيل الجميلة وقد يمكن أن ترى فى بعض الميادين تمثالا فى كل ركن من الأركان وقد أقيم بعض هذه التماثيل فوق المرتفعات والمدرجات

من حسن الحظ أن المجر كانت تحتفل بعيد وطنى من أعيادها هو عيد القديس اسطفان فى مدة إقامتنا بعاصمتها ولذا فقد لاحظنا أن بودابست قد امتلأت برجال ونساء من الفلاحين والفلاحات وفدوا عليها من الاقاليم للاشتراك فى هذا العيد وقد ارتدوا المـلابس المزركشة ذات الالوان المتعددة فكان شكلهم غريبا ظريفا وقد كنا نقابل جموعا منهم ونحن نتفرج على أعلام بودابست يتفرجون مثلنا

وفى المساء ذهبنا إلى مسرح البلدية لنشهد قطعة مسرحية اسمها « باقة الورد » تمثل فى فترة هذا العيد فى كل عام بواسطة هؤلاء الفلاحين وهى أحسن أنموذج لغنائهم ورقصهم القومى وهما أشبه بالغناء والرقص الشرقى . وقد كان سرورنا بمشاهدة هذه القطعة عظيما إذ أنها كانت صورة للحياة المجرية القومية الوطنية وأصلها الشرقى وكان لابد أن نراها ما دمنا قد رأينا المجر الحديثة .

وفى صباح اليوم الثالث لوجودنا فى بودابست زرنا متحف الفن وبه مجموعة قيمة من الصور وأتبعنا ذلك بزيارة المتحف الزراعى ولا أريد الاطالة فى وصفه إذ فيه نحو ٢٥ قسما رئيسياً منها قسم الغـلات والتربة وطرق الري والحرث والدواجـن ... الخ ويكفى أن أذكر أنه أعظم متحف من نوعه فى العالم، وأن المغفور له الملك فؤاد الاول زاره فى عام من الأعوام فأبدى إعجابه العظيم به وأمر بأن يكون لمصر ، وهى التى تعتمد على الزراعة اعتماداً كليا ، متحف مثله . فعلى نمطه متحف

بودابست أعد متحف فؤاد الزراعى الذى أنفق عليه نحو مليون جنيه وأشرف إخصائيون من المجر أنفسهم على إعداده .

قبل أن أغادر بودابست فى طريقنا إلى فينا أريد أن أذكر كلمة عن بودابست فى الليل فأنت إذا أقبلت عليها من النهر وجدت الانوار تتلألأ فى مدرجاتها المرتفعة كأنها الزينات المقامة فى حفلة العرس كما ترى القناطر تتلألأ بالأنوار . . . هذا المنظر : منظر بودابست بالليل من نهر الدانوب من المناظر الخالدة التى لايمكن أن تمحى من ذهن زائر الدانوب

والآن الى فينا ... وهى المرحلة الأخيرة .

(٥)

المسافة بين بودابست وفينا بالقطار لاتزيد على أربع ساعات ونصف يمر المسافر فى خلالها بالمروج الخضراء والسهول المنبسطة ويرى الوديان والمراعى الملأى بالماشية والأغنام

فينا بلد من أجمل بلدان أوربا . . . وإذا سميت بوخارست باريس الصغرى ، وتميل عن بودابست أنها ملكة الدانوب فان فينا تحمل لقبا لايقل رفعة عن هذين اللقبين وهو : بلد الفن والموسيقى . ولقد مر وقت على فينا كانت فى أثنائه أولى البلدان الأوربية وأجملها فقد كانت حاضرة إمبراطورية عظيمة هى امبراطورية النمسا والمجر ، ولكن النمسا بعد الحرب العظمى أصبحت فى حالة يرثى لها إذ انتزعت منها أملاكها وقامت على أنقاضها دول جديدة ولذلك فهى تعانى اليوم شر أنواع الفقر والبطالة مما جعلها مطمح انظار الدول القوية ... وعدد سكانها اليوم لايزيد على مليون يتزل أكثر من نصفهم فى فينا فقط . ولكن فينا على الرغم من ذلك لم تفقد من روحها السابقة غير القليل ولولا العمال المتعطلون المتسكعون فى طرقاتها ولولا الذين يمدون أيديهم بالسؤال لقلنا إن فينا الحالية هى فينا قبل الحرب تماما

شارع « الرنج » فى فينا أو الرنج ستراس كما يسمونه من أفسح الطرق أو المنتزهات فى العالم كله ، وقد لايعدله إلا الشانزليزيه فى باريز وهو يحيط بالمدينة القديمة ويضم بينه الحدائق الجميلة والتماثيل البديعة لزعماء الموسيقيين الذين عشقوا فينا وتشرف على هذا الطريق دار البرلمان النمسوى .

زرت فى أثناء وجودى فى فينا القصر الامبراطوري العظيم وهو يقع فى قلب المدينة ، كما أنه ملىء بانواع الذخائر الفنية الثمينة من صور وأثاث وطنافس . وقد كان هذا القصر حتى سنوات قليلة مقر الامبراطور فرانسوا جوزيف الذى توفى اثناء الحرب العظمى وفيه نحو الف غرفة . . بينها الغرف التى كان لا يزال ينزل بها نابليون بونابرت مع زوجه مارى لويز حين يزور حماه فرانسوا الاول

وزرت كذلك قصر شونبرون المشهور وهو بخلاف القصر الامبراطورى يقع فى خارج المدينة ويبعد عنها نحو ساعة بالسيارة وهو يعتبر من اجمل القصور الملكية فى العالم ولا عجب فقد كان مقر ماريا تريزا ، وحدائق هذا القصر لا تزال محتفظة بجمالها وزهورها ونافوراتها وبحيراتها مما يذكر الزائر بقصور فرساى الجميلة .. ولكى تكون لديكم فكرة عن القصر أذكر أن نقوش الحجرات كلها كانت مكسوة بالذهب الخالص حتى تكاد تخطف الأبصار ، وبه فوق هذا غرفة اسمها « غرفة المليون » وقد سميت كذلك لأن نفقات تزيين جدرانها بالذهب — وهى حجرة واحدة بلغت المليون ريال أى نحـو ٢٠٠ ألف جنيه . والمطابخ فى قصر شونبرون كانت تشغل وحدها ١٤٠ غرفة .

وبعد زيارة القصرين ذهبت مع بعض الأصدقاء إلى حيث نشهد صورة جديدة لفينا . . . هى فينا الضاحكة المرحة وهذه هى فينا التى تمثل خلق الشعب النمسوى حقا . . . وقد رأينا فينا هذه فى حى براتر Prater . . . والذين زاروا مدينة الملاهى التى أقيمت فى مصر أثناء المعرض الزراعى الصناعى الاخير — وأظن أنكم جميعا قد سارعتم اليها مرات — يكونون فكرة عن Prater ولكن يجب أن نعلم أن Prater أكبر حجما من مدينة الملاهى بعشرمرات على الأقل ولعله أكبر ملهى من نوعه فى العالم . . وقد راقنى ان أشهد فيه بنوع خاص مستعمرة الأقزام فقد كانت فريدة فى بابها حقا . . . كما أننى لا أخفى أننى لم أترك لعبة فى تلك الليلة لم أشترك فيها حتى شعرت أننى قد عدت إلى الوراء ١٥ عاما على الأقل !

(٢)

من أعجب المشاهد التى رأيتها فى فينا مناظر البحيرات الداخلية فقد زرنا منجما اسمه منجم See Grotte ، وهبطنا إلى المنجم أو المغارة فى طريق صخرى أشبه بمدخل الهرم . وقد انخفضنا فى داخل الأرض نحو ٢٥٠ مترا حتى أخذنا نحس بالبرودة والرطوبة وأخيرا وجدنا أنفسنا أمام بحيرة كبيرة تحت الأرض فكانت مفاجأة غريبة ، ونظرا للظلام فقد وضعت بعض المصابيح الكهربائية لكى تضىء المكان . وقد وجدنا هناك قاربا حملنا مع الدليل نجوب أنحاء البحيرة .

حول فينا بعض الضواحى الجميلة أخص منها بالذكر كوبنزل Kobenzl وهى بقعة أعلى من فينا بنحو ١٢٠٠ قدم وتبعد عنها بنحو ساعة فى السيارة . ومن كوبنزل تظهر فينا الجميلة ممتدة معرضة أمام الأنظار .

وآخر بقعة زرتها فى النمسا سمرنج وهى تبعد عن فينا بساعتين ونصف ساعة فى السيارة وعند مابعد

النفق الذى يؤدى إلى ايطاليا والذى يخترق جبال الألب الشرقية ... وتمتاز بارتفاعها الذى لا يقل عن ١٠٠٠ متر . وطريق السيارات فى الجبل معبد يصعد بالسائح تدريجا دون أن يشعر حتى ينتهى الأمر بأن يجد نفسه على القمة ، وقد أقيمت هناك الفنادق والملاعب وأحواض السباحة الجميلة ويحتاج المرء إلى قلم الشاعر وخياله ووحيه لو شاء أن يصف المنظر الذي يراه من سمرنج فالبصر لا يقع إلا على غابات متصلة والنباتات والازهار تنمو فى وسط الصخور وجداول المياه تنساب إلى الاودية فى خرير ناعم وكأنها تسبح بحمد الله الذي خلق فأبدع !





بلادنا بين بلاد العالم

للاستاذ رمسيس شحاته

بلاد العالم فريقان فريق الشرق القديم المتوغل فى القدم والعريق فى المجد التاريخى التالد و بلاد الغرب الناهض الجديد الذى ينبض بالحياة والنشاط والقوة

ومصر فى مفترق الطرق بين هذه البلاد جميعا . لاشك أن مصر من بلاد الشرق وهى أقدم تلك البلاد قاطبة واكثرها توغلا فى التاريخ وأشدها صلة به ولـكنها مع ذلك أقرب بلاد الشرق الحاضر الى الغرب والأخذ بأساليبه واصطناع حضارته

لمصر مركز ممتاز فى الخافقين فهى للغرب تلك المنارة التى إستضاء بضوئها وأخذ عن حضارتها و نقل عنها المدنية والعلم والعمران وهى ذلك القطر الذى كافح طويلا وجالد كثيراً حتى أغتصب من براثن الأستعمار حريتـه وخلص من مخالب المغتصب بـلاده وهى على ذلك سلسلة من الـكفاح والنضال يتصل تاريخها القديم ومجدها التالد بحاضرها ومستقبلها القوى الزاهر

ولمصر مركز ممتاز فى الشرق أيضا هى مركز الحضارة فى الشرق الأدنى ورأس الأمم المتكلمة باللغة العربية يحتذي بها وينسج على منوالها وهى اكبر هـذه الأمم عددا وأغناها وأكثرها علما وتقدما وعمرانا وهى الزعيمة المنصورة تتجه اليها العيون من كل حدب وصوب واضعة فيها الآمال الجسام والامانى العظام

وقد دفع هذا الموقف المفكرين الى التاؤل إلى اى الناحيتين نتجه الى الشرق القريب لنتلق منـه التأييد والعطف والتشجيع أم إلى الغرب نتلقى منه الدروس وننقل عنه المدنية والعمران والصناعة والعلوم . وتضاربت الآراء فنادى رجال التجديد بضرورة الانسلاخ عن الشرق انسلاخا تاما والاقبال نحو الغرب بكل قوانا وتوجيه كل جهودنا إلى إقتفاء أثره والسير على منواله ومثاله ودعا رجال العروبة إلى نبذ الغرب كلية والاقبال على الشرق وإحياء آدابه ومدنيته وبعثها من جديد . ونشأت من تلك الدعوة فكرة الوحدة العربيـة وأثمرت جهودها بما نراه من أقبال الحكومة على أحياء الأدب العربى ثم الفن العربى وخصوصاً موسيقى العربية ونشأ عن ذلك تلك الحمى الحادة التى أصابت مرافقنا العامة . وفشت موجه التعصب للتقاليد العربية والتحزب لـكل ما هو عربى شرقى

وقد اغضبت دعوة كل من الفريقين الفريق الآخر فرأينا تلك الحمى تمتد إلى مسألة فرعونيتنا أو عربيتنا وتناحر الكتاب فيما بينهم . فريق يدعى أننا عرب وفريق يؤكد اننا فراعنه وجعل كل يدلى بحججه واسانيده ومهماكان من شأن هذه الزوبعه فى فنجان كما يسمونها فانها تضع ايدينا على مقدار اختمار فكرة العروبة فى الرءوس ولا شك أن بعض الملابسات والظروف ورغبة بعض الجهات الخاصة بالظهور بمظهر المحافظين على التقاليد الشرقية العربية كانت الباعث الأهم فى انتشار تلك الفكرة .

ونحن الآن نعيد التساؤل من جديد . هل نتجه إلى الغرب أم نتجه إلى الشرق ؟ وكيف نتجه إلى أيهما؟ ايدفعنا الاتجاه نحو الغرب إلى كراهية الشرق ومقته وإزدرائه او يدفعنا الاتجاه نحو الشرق إلى التعصب ضد الغرب الاندفاع والاستسلام إلى النعرات العربية الحادة مثلا؟

ولا يخفى علينا ما فى الأمر الأول من خطر وما ينطوى عليه من خطأ فاحش لا يؤدى بنا إلا إلى خلق عداوات لا مبرر لها وخصوم نحن فى أشد الحاجة إلى معونتهم وتعضيدهم . وقد يؤدي بنا إلى فقدان الكرامة الوطنية ولو إلى حد ما كما قد يورطنا فى أمور لا تتفق وطبائعنا ومزاجنا القومى بل وتلويننا الذاتى .

ولا يخفى علينا ما فى الأمر الثانى من شر عظيم وما قد يجلبه علينا التعصب من اثارة الأحقاد والضغائن او دعوة دول الغرب إلى الاتحاد والتكاتف للقضاء علينافيما نحن فى غنى عنه ومما لا قبل لنا عليه

إذا كان من المستحب لدى الكثيرين منا أن ننسلخ عن شرقيتنا انسلاخا وأن نقبل على الغرب بكل قوانا فانه من المستحب أيضا أن لايكون ذلك بحيث يحس منا الغرب حاجتنا الماسة اليه لانه ماكر غادر سوف لايتأخر عن استغلال هذه الحاجة لتحقيق مطامعه وغاياته الشخصية

انه وإن كان من المستحب لدى الكثيرين منا أن نقبل على الشرق نعزه ونكرمه ونبجله فيجب أيضا أن لايدعونا ذلك إلى نسيان انفسنا وانشغالنا بتلك الخيالات التقليدية الواهية أو تلك الاحلام العربية والامانى الامبراطورية البعيدة عن حاجتنا وأمورنا الحيوية الهامة وهى كثيرة متعددة تحتاج الى عناية دائمة والتفات مستمر . لايجب أن يدفعنا الاتجاه نحو الشرق الى التورط فى مشاكله الخاصة بحيث تلهينا هذه المشاكل عن مشاكلنا نحن .

ويرى القارىء فيما تقدم أن الاختيار صعب وأن تقرير رأى فيه ليس بالسهولة التى يتصورها الكثيرون خصوصاً واننا عرضة لأن نحاسب أشد الحساب على أقل هفوة أو أقل بادرة تبدر منا فى هذه الناحية . ولذلك جدير بنا أن نتأمل جيداً تلك المشكلة الجديدة وجدير بنا أن نضع نصب

أعيننا أن ليس فى شئون العالم قاطبة مايستحق أن يلهينا عن بلادنا ومشاكلها وحاجاتها كما أنه من الحماقة أن نتعمد الاساءة إلى قوم ليست بيننا وبينهم أي عداوة ما بل على العكس تربطنا بهم روابط جمة لها أهميتها

إن الشرق متعدد المشاكل ومن هذه المشاكل مايتعلق بنا ومنها مالايتعلق بنا وما لاصلة لنا به ومن الحكمة أن لايدفعنا العطف على الشرق وماله فى قلوبنا من مكانه ومانحبوه به من رعاية إلى التورط فى مشاكله الخاصة . هاهى فلسطين تطارد اليهود وهاهى تقاوم الانجليز وقد تنقلب هذه الثورة الى حرب شديدة لايعلم إلا الله مداها ونتائجها فهل يجوز لنا أن نتدخل فى أمر كهذا بحجة أننا زعماء الشرق حتى ولو تورطنا فيه ؟ إن المصلحة العامة التى يجب أن تكون دستوراً ورائداً لكل أعمالنا تحتم علينا أن لانتدخل فى أمر كهـذا إلا عند مايعود علينا ضرر من تغلغل السلطان اليهودى فى هذه البلاد . وذلك لأسباب أولها تجنب الدخول فى منازعات لاتتصل بنا ثم محافظة على شعور الدول الاخرى ذات المصلحة فى تلك البلاد . وقد تنشب الحرب من جديد بين الطليان والحبش فهل يدعونا ذلك إلى مقاطعة الطليان من جديد مع العلم بأنهم من عملائنا الكبار فى التجارة ، ان المصلحة العامة تقضى بأن لايكون تدخلنا إلا محافظة على مصلحة البلاد فيجب أن يعلم كل من الحبش والطليان أننا نعنى أولا بحقوقنا وأننا على استعداد للذود عنها أما فيما عدا ذلك فنحن على الحياد . وهكذا فى مختلف الامور الاخرى

ولايخفى على القارىء اننى أقصد بذلك أن يصد كل طلبات البلاد الشرقية فى المساعدة أو ان نعاملهم معاملة تدل على الجفاء وتخلو من العطف وحسن الجيرة وتبادل الشعور الطيب فان ذلك مدعاة لخيبة آمالهم فينا ولكنى ادعو الى الحذر من التورط فى المشاكل الداخلية لتلك البلاد والاستسلام لعواطفنا فى علاقاتنا بهذه الاقطار الشقيقة .

لاشك أن التعاون مع هذه البلاد قد يعود على مصر بأكبر الربح وقد تغتنم منه البلاد غنما كبيرا ولكن لمثل هذا التعاون حدودا يجب أن توضح وأن تبحث من قبل على ضوء المبدأ المتقدم وهو مبدأ تفضيل المصلحة العامة والعمل بدستورها لا الجري وراء النزعات أوالاستسلام إلى العواطف . ولايضيرنا أن تعلم هذه البلاد أن هذه هى سياستنا فان حسن المجاورة والعمل لمصلحة هذه البلاد مادام ذلك لايتعارض ومصلحة بلادنا لابد وأن يقابل منها بالتقدير الكافى .

إن فى استطاعتنا استغلال رابطة اللغة أولا ثم رابطة الدين ثانية فى تقوية مركزنا بالنسبة لهذه البلاد أولا ثم مركزنا العام ثانية .

ليس يضيرنا أن يتكون الحلف العربى ونشترك نحن فيه على ان لايثير ذلك مخاوف وشكوك

البلاد الاخرى فلا شك أن فى الاتحاد قوة ولاشك أن فى كل من سوريا وفلسطين والعراق وتركيا وفارس من ناحية ثم طرابلس والجزائر ومراكش وتونس من ناحية اخرى اسواقا مفتوحة لمنتجاتنا أولا ثم أعوان لنا ثانية

إن هذه الناحية لم تستغل بعد وفى استطاعتنا أن نستفيد من الدعاية فى هذه البلاد اكبر الفائدة فعلينا أن نفكر فى ذلك من الآن على ان نحذر أشد الحذر من أن يثير هذا العمل أحقاد الغرب وشكوكه خصوصا وأن مصالح بلاد الغرب فى بعض تلك البلاد معروفة ومتعددة

كل دول العالم الان تسعى سعياً حقيقا متواصلا فى اكتساب الحلفاء وهى تكاد تتقابل فيما بينها لذلك فلماذا لانستفيد نحن من المركز الممتاز الذى نتمتع به فى تلك البلاد الواسعة الممتدة؟ أن رعاية حسن الجوار والمحافظة على شعور الوطنيين فى هذه البلاد بالحد الذي تسمح به الكياسة السياسية الدولية ليس كسبا معنويا لنا فحسب بل ربما كان الخطوة الاولى نحو حياة أسعد وعصر ازهى وربما كان الحجر الاول فى بناء مجد الوطن واستعادة سالف عزه وقوته

أما من حيث علاقتنا بالغرب فيجب ان نكون على اشد ما يكون من الحذر ايضا

يجب ان لانخدع بمظاهره فقد يدس لنا السم فى الدسم ويجب أن نعلم حق العلم ان بين بلاده اكثر من واحده تود من الصميم لو اتاحت لها الظروف القضاء علينا بل هى تتحفز لذلك فى كل وقت . وقد عودنا ذلك منه وليست موقعة نافارين ببعيدة عنا والعظة التى نستطيع ان نستخلصها منها بالغة . يجب ان لاتكون هناك تافارين ثانية . ونحن نستطيع ان نمنع تكرر مثل هذه المآسى لو اننا اتبعنا سياسة حازمة فى شئوننا ولم نفرط فى حقوقنا لاحد أياكانت قوته

هذا ولا يجب ان يكون اتجاهنا الى الغرب اتجاه السائل المحتاج يستجدى العطاء ولكن اتجاه من يستوفى دينا له على تلك الدول . لقد علمت مصر العالم بأسره الحضارة ولقنته اصول المدنية والعلم فلما دار الزمن دورته أفلتت هذه الكنوز بجملتها من يدها وهى اذ تبحث عنها فى العالم انما تبحث عن متاع لها فقدته بمرور الزمن. أما أن نتجه الى الغرب اتجاه السائل المستجدى فان ذلك فضلا عن كونه معره ومذلة لنا فانه داع لشح الغرب ومنه

يجب ان يعلم الغرب أننا لا نقتفى اثره فى كل شئونه مقلدين له حتى فى اخطائه وزلاته بل يجب ان يعلم أننا نبحث عنده عن حاجيات لنا سبق ان سلمناها له ونحن نتخيرها من بين ما يملكه فليس فى ذلك حط لكرامتنا ورد لعزتنا القومية فحسب بل احتماء لنا من الوقوع فى اخطاء الغرب والزلل فى هفواته ومزلاته

جدير بنا بعد ذلك ان لا نتعمد اثارة احقاده الكامنة والمس بكرامته او الحط من قيمته فان

في ذلك مدعاة ومجلبة لمشاكل نحن احوج الناس الى تلافيها كما أنه قد يكون سلما الى غرور نابانفسنا مما لا يستقيم ومصلحتنا القومية العامة

هذا هو الشرق وذلك هو الغرب ولو تأملنا مجملما يجب ان تكون عليه سياستنا من معاملة أيهما لرأينا انها تتلخص فى الدستور الاتى

الاعتدال هو رأس النجاح وضمان الخير بينما المبالغة والشطط مطية الزلل والخطأ وآفة الرأي التعصب

اما الحذر فوسيلة النجاة مما فى العالم من شرور واحقاد وأضغان بينما التورط والاندفاع مجلبة للهموم والمنازعات والبلايا

واليقظة هى آية النشاط ودليل الحكمة والكياسة وسبيل الانتقال من نصر الى نصر ومن فوز الى فوز ومن مجدالى مجد فوق انها سلاح ماض فى دفع كل شر طارىء عاجل

يجب ان يكون دستور سياستنا على الامم قاطبة مبنيا على الاعتدال واليقظة بعيداعن التعصب والمبالغة او التورط والانخداع او التفريط والتسليم

يجب ان يحبنا الشرق وان يهابنا الغرب وان يحترمنا وبذلك نستطيع ان نعيش فى سلام وأن نهيىء لانفسنا طريق الحياة الجديدة مستعيدين ما فات لنا من مجد وعظمة تالدة

رمسيس شحاته

مسألة اللغة العالمية

للاستاذ نقولا يوسف

تاجور — .. والان هل تعتقد ان هناك ميلا الى ايجاد لغة واحدة للانسانية

ولز — ستفرض هذه اللغة على الانسانية يوما ما ، ان الحاجة الملحة هي التي ستضطرنا الى ايجاد لغة عالية ..

تاجور — اوافق على ما تذهب اليه ..

(*)

وما يذهب اليه الاديبان الكبيران فى النبذة السابقة المقتطفة من حديث دار مرة بينهما يعتقد به ايضا مفكرو هذا العصر الذين يعالجون هموم الانسانية ومستقبلها بروح متحررة من انواع التعصب ، ذلك لان الحاجة اليوم الى لغة يفهمها جميع الامم أمست اشد مما كانت عليه فى العصور السالفة

فان على هذا الكوكب الارضى الصغير شعوبا مشتتة يبلغ عدد أفرادها نحو الفى مليون نسمة تتكلم بلغات ولغيات تزيد على الالفين وقيل تبلغ الثلاثة الاف . اعنى ان لكل مليون نسمة فى المتوسط لغة خاصة بها على وجه التقريب وهذا المليون كما نعرف أقل بكثير من سكان القاهرة .

وفى احصاء ذكرته الصحف مرة أن عدد لغات العالم ٢٧٩٦ لغة منها ٦٩٠ لغة مهمة . وفى اوربا من هذا المهم ٤٨ لغة وباسيا ٢٥٣ وبافريقيا ١١٨ وفى الامريكتين ٤٢٤ وفى أوقيانيا ١١٧ لغة ..

وفى اوربا التى توازى مساحتها مساحة الصين نحو ١٢٠ لغة ولغية ، بل انهم يعدون للهندوحدها ٢٤٠ لسانا و ٣٠٠ عجمة اهمها ثلاثين لغة يشتق منها نحو عشرين لهجة ، وقد يكون الفرق بين بعض هذه اللغات والبعض الاخر كالفرق بين العربية والفرنسية .

وقد مات عدد من اللغات فى مر القرون ولكن الناس على الرغم من هذه الكثرة الهائلة للغات الموجودة اليوم ما زالوا يحاولون احيائها . فاللغتين اللاتينية والاغريقية القديمة ما زالتا

تدرسان فى معاهد العلم باوربا لما تشتملان عليه من مخلفات أدبية هامة وكان الواجب أن يقتصر على دراسة مخلفاتها مترجمة الى اللغات الحية وأن يختص الاثريون وحدهم فى دراستهما كما يحدث فى دراسة الهيروغليفية والديموطيقية وغيرهما ... ثم ان اليهود يعملون اليوم على احياء اللغة العبرية فى حركتهم الصهيونية مع انها ماتت منذ ازمان ، وكذلك الاتراك فى هذه السنين الاخيرة بدافع التطرف القومى على احياء الالفاظ التركية الدارسة وحذف الالفاظ العربية وغيرها منها. وكذلك يفعل المنادون بالعروبة على احياء الفاظ الجاهلية الميتة والنبش عنها فى الدواوين المهجورة

يحدث كل هذا كله بينما اللغة الانجليزية ترحب بكل لفظة أجنبية جديدة شائعة تضيفها الى قاموسها فتزداد بهذه المرونة وبهذه الرحابة قوة واتساعا

وهذه الكمية الهائلة من ثلاثة الاف لغة يتحدث بها سكان هذا الكوكب الصغير الذى تطوف اليوم حوله الطائرة فى سبعة أيام ، هى من اكبر العقبات التى تعوق اتحاد الشعوب وتفاهمها والتقرب بينها فى سبيل مصلحتها الخاصة ومصلحة الانسانية العامة . ولو ان العلم وما أتى به من تقدم عظيم فى وسائل النقل قد جعل من العالم قرية كبرى ذات مصالح مشتبكة وسهل امر السياحة والتبادل التجارى والثقافى ، وجعل من ضرورات العصر الحاضر ايجاد لغة عالمية تفهمها كل الشعوب لتسهيل ذلك التفاهم وذلك التقارب . كما أنه أظهر جليا أن هذه الكثرة الهائلة للغات اثر من اخطاء الماضى وان المتطور ان يقلل من هذه الكمية بالتدريج حتى يتحقق حلم الانسانية بالاكتفاء بلغة واحدة لكل كوكب مسكون

ولكن الاتفاق على لغة عالمية يتعلمها ويتفاهم بها كل الشعوب ، لا يعنى اليوم استغناء تلك الشعوب عن لغاتها القومية لان كل امة على الارض حتى القبائل المتوحشة باستراليا وافريقيا تعتقد بقداسة لغتها وافضليتها على سائر اللغات

ولا سبيل الى اختزال هذا المقدار العظيم من اللغات الا بانقراضها تدريجيا بحكم بقاء الاصلح حتى لا يبقى فى الارض الا ما ينفع الناس

انما المفروض الان فى مسألة اللغة العالمية ان يتعلمها كل شعب الى جانب لغته الاصلية فتكون حلقة الاتصال بين جميع الامم ..

« ٥ »

ان ما يخفف تعصب كل شعب للغتـه واعتقاده بتفوقها على سائر اللغات هو دراسة أصل اللغات وتطورها

والذى يراه علماء اللغات ان الانسان فى بدأ عهده كان ابكم يتفاهم بالاشارات اى اشارات اليد والرأس والفم وحركات اعضاء الجسم وذلك قبل ان ينطق باللسان .. وما زالت اللغة الاشارية منتشرة الى الآن بين القبائل الهمجية وبعض تلك القبائل يتوسع فيها حسب حاجته باستخدام النار والدخان والنقر على الطبل الصغير .. كما ان اللغة الاشارية ما زالت واسطة التفاهم بين الطير والحيوان فالاشارة فى رأى علماء اللغات هى اقدم لغات البشر كما ان الرسم أقدم كتاباته

وكان الانسان الاول فى نفس الوقت يستطيع كما يستطيع سائر الحيوان والطير أن يخرج أصواتا مختلفة المعانى كصراخ الالم والفرح وغيره ، فالصوت سبق النطق ، والغناء سبق الكلام .

ويرى السير رتشارد باجيت فى شرحه لهذه النظرية ان الانسان كان يلجأ الى محاكاة الحيوان والاشياء فى اصواتها وحركاتها للتعبير عنها . فاذا كان فى الظلام أو اذا كانت اليد مشغولة ولم يستطع التعبير بالاشارات لجأ الى اخراج اصوات تتشكل باختلاف حركات الفم واللسان ومن طبيعة الانسان ان يحرك لسانه وشفته اذا عمل شيئاً بيديه كما نشاهد ذلك فى الاطفال حينما يتعلمون الكتابة ولتوضيح ذلك يقول ان الانسان القديم كان يعبر مثلا من الارتفاع برفع اليد فاذا كانت يده مشغولة عبر عن ذلك برفع شفته السفلى فاذا كان فى الظلام رفع شفته السفلى وأخرج صوتا هو الكلمة المعبرة عن معنى الارتفاع .. وهكذا

وعلماء الفيلولوجية ، أي مقارنة اللغات ، يستدلون اليوم على منشأ اللغات بدراسة لغات القبائل الوطنية باستراليا وكذلك بدراسة اصطلاحات القرود وأصوات الأطفال البشريين

وهكذا تكونت الألفاظ الضرورية عند كل قبيلة وشعب ، وكان لاختلاف التعبير عن المعانى لدى كل قبيلة أن اختلفت الألفاظ . ثم أخذت الالفاظ تكثر وتكون لغات على مر العصور ولكثرة الحاجات واتساع مرافق العيش . ثم كانت الهجرة وحدثت الغزوات فامتزجت اللغات واشتق بعضها من البعض الآخر ...

فاللغة السريانية مشتقة من الكلدانية وهذه مشتقة من الارامية أو البابلية ، واللغة العربية كما يقول العالم احمد كمال باشا مشتقة من اللغة المصرية القديمة .. واللغة المصرية كان لها أثر ما زال باقيا فى لغات العالم .. وقد اشتقت الايطالية عن اللاتينية .. أما اللغة الفرنسية فهى اللغة اللاتينية التى نقلتها أمة الغال وحورتها .. واللغة الهندستانية هى مزيج من الفارسية والعربية والهندية القديمة .. وهكذا

أعنى أن اللغات كلها تعود إلى أصل واحد .. وانها ذات قرابة ونسب .. ولا توجد لغة يمكن أن يقال فيها أنها مستقلة بذاتها منذ الابد وعلى ذلك فليس هناك لغة تنفرد بالقداسة والاستقلال..

وأن كل لغة مازالت إلى اليوم خاضعة لمؤثرات اللغات الاخرى .. وأن هناك لغات عديدة انقرضت وقام على انقاضها لغات جديدة .. وأن اللغات قد ظهرت لتسد حاجة الانسان فى التعبير عن أفكاره والتفاهم مع غيره وكل لغة تسد هذه الحاجة تكفى الانسان فى حياته .. وأهل الارض كلهم سيكفيهم لغة واحدة فى المستقبل الذى لا يعرض متى يكون ..

أما حاجة البشر الى لغة دولية يفهمها الجميع فقد بدت فى رؤوس عدد من المفكرين الراغبين فى الاصلاح ولكنها لم تبد ق قوتها كما بدت منذ القرن الماضى الى الان لازدياد الحاجة اليها بعد أن صغر العالم فى نظر التقدم العلمى ، وبعد ان اشتبكت مصالح الدول وسهل على هذه الارض بسهولة وسرعة .

ففى القرن التاسع عشر ابتكر احد ادباء الروس لغة سهلة اسماها «فولابوك» لتكون المحاولة الاولى للغة العالمية .. فجاء طبيب روسى اسمه «زامنهوف» فدرس هذه اللغة المبتكرة ولاحظ فيها بعض النقائص فاستبدل بها لغة اخري اقتبس قواعدها من الفولابوك وأذاعها عام ١٨٨١ باسم الاسبرانتو وجعلها من السهولة وقلة اصول المفردات بحيث يمكن لكل ملم باللغات الاوربية أن يتعلمها فى مدة وجيزة وبتخذها لغة محايدة تغنيه عن تعلم عديد اللغات .

وكان ظهور الاسبرانتو باعثا لابتكار لغات أخرى على طريقتها تكون اكثر كمالا فظهرت لغة أسماها صاحبها « اديوم نوترال » أى اللغة المحايدة . ثم لغة أخري اخترعها الاستاذ جيسبرسون الدانمركى ودعاها « نوفال» وقد اشتقها من اللاتينية الانجليزية وأدخل فيها ألفاظا كثيرة سهلة من لغات اوربا ...

ولكن لم يعش من هذه اللغات المصطنعة غير الاسبرانتو التى انتشرت فى نصف قرن فقط انتشارا كبيرا وظهر لها أنصار متحمسون ترجموا اليها أهم أدبيات اللغات الاوربية وأنشأوا لها قاموسا كان يتألف فى الاصل من ٢٦٤٢ كلمة ووضعوا لها نحوا سهلا ثم أنشأوا بها بعض الصحف والمجلات وساعدتها بعض الحكومات على الانتشار مثل الحكومة الفرنسية .. ويعقد أنصار الاسبرانتو كل عام مؤتمرا فى بلاد مختلفة كان أحدثها المؤتمر الثامن والعشرين الذى عقد بفينا فى اغسطس ١٩٣٦ تحت رياسة شرف رئيس جمهورية النمسا وقد حضره عدد من عظماء النمسا ورجال حكومتها وكان به اكثر من الف مندوب يمثلون ٣٥ أمة وكان يمثل مصر الاستاذ نصيف محروس رئيس جماعة الاسبرانتين بمصر الذى رفع عند عودته تقريرا الى وزارة المعارف المصرية دعا فيها الى وجوب اشتراك الحكومة المصرية فى مؤتمر الاسبرانتو فى سبيل الدعاية لمصر على الاقل

وقد سبق ان عقد مؤتمر الاسبرنتو فى السنة التى قبلها بروما حيث حضره ١٤٥٠ مندوبا عن ٣٥ أمة وفى ١٩٣٤ عقد باستكهلم وقبلها بكولون وقبلها بباريس حيث حضره ٢٥٠٠٠ مندوبا

ومع جمال هذه الفكرة وسموها أي فكرة الاسبرانتو الذي يرمز بها إلى اللغة العالمية المنشودة فان هناك عقبات كثيرة فى سبيل انتشارها وفى سبيل تحقيقها وأهم هذه العقبات هى :

١ — منافسة اللغات الاوربية العظمى لهذه اللغة وفى مقدمتها اللغة الانجليزية التى بدأت تتخذ مكانة اللغة العالمية المطلوبة ولا يمكن أن تقف الاسبرنتو فى وجهها

٢ — لم تلق الاسبرانتو الاقبال المنشود لدى الكثير من الامم ولم يرغب فيها غير أفراد قلائل من الهواة

٣ — فقر الاسبرانتو الادبي بالنظر إلى حداثة عهدها بينما هناك ثروة علمية وأدبية عظيمة فى بعض اللغات الحية

٤ — النعرة الوطنية الحادة فى هذا العصر مما يدفع كل أمة إلى تفضيل لغتها على سائر اللغات ورغبتها فى جعل لغتها القومية لغة عالمية دون غيرها ..

٥ — ان تقرير اللغة الدولية من أختصاص عصبة الامم ولا بد انها ستدرس هذا الموضوع يوماً ما وتضع القرار الذى تتقبله جميع الامم ، ويكون عمل العصبة هذا خطوة كبري فى سبيل السلام العام الذى تعمل اليه

٦ — ان عدد الذين يقبلون على تعلم الاسبرنتو فى نقص مستمر ولذا فهى فى حالة احتضار يضيع به كل أمل فى مستقبلها وتحقيق الغرض من وجودها .

* * *

فاذا كانت الحال كذلك فلا بد أن نجيل النظر فى لغات الارض وعددها الذى يقرب من الثلاثة آلاف لنري أيتها أصلح لأن تكون اللغة العالية المنشودة . وهنا لا بد أن ننتقى أوسع لغات الارض انتشاراً لان فى هذه السعة بعض قوتها وصلاحيتها لان تكون اللغة الدولية ، وهنا نجد أمامنا أربع لغات ستفوز منها واحدة

١ — اللغة الصينية التى يتكلم بها أكثر من أربعمائة مليون من البشر هم خمس سكان العالم ، ولكن الواقع أن لغة الكتابة هى اللغة الواحدة عند جميع الصينيين لانها مثل اليابانية تصور الافكار أكثر مما تصور الحروف . أما لغة التخاطب فتختلف لهجاتها فى مختلف بقاع الصين . ويختلف نطق سكان الجبال عن نطق أهالى المدن ثم ان اللغة العامية مختلفة اللهجات إلى درجة يتعذر فهمها فى جهات مختلفة .. وفوق ذلك أن اللغة الصينية مازالت مجهولة لدى بقية الامم ومن الصعب بل

من المستحيل أن تصبح لغة عالمية

٢ — اللغة الانجليزية : وهى أوسع اللغات الاوربية انتشاراً

٣ — اللغة الفرنسية ، ويتحدث بها سكان فرنسا وجنوب بلجيكا وغرب سويسرا وبعض سكان كندا غير سكان المستعمرات الفرنسية وهم أكثر من ستين مليوناً . وبالجملة فان من يتكلمون الفرنسية كلغة أصلية أو اضافية يزيد عددهم على مائتى مليون نفساً ..

٤ — اللغة الاسبانية : ويتحدث بها أهل أسبانيا وهى واسعة الانتشار فى الامريكتين لاسيما بامريكا الجنوبية ولكن لن يتاح لها الفوز لتأخر الاسبانيين فى الحركة العلمية والنشاط الادبى ..

* * *

لم يبق أمامنا إلا الانجليزية والفرنسية الواسعتى الانتشار إلا أننا إذا قارنا هاتين اللغتين احداهما بالاخرى من وجوه عديدة فازت الانجليزيه . والذي يحملنا على الظن بأن اللغة الانجليزية هى اللغة الدولية المستقبلة الأسباب الآتية :

١ — هى لغة التفاهم فى الجزر البريطانية وعدد سكانها نحو خمسين مليوناً وبامريكا الشمالية وهم نحو ٢٠٠ مليون نفس ثم استراليا وزيلنده الجديدة . وجنوب افريقيا

٢ — أتساع الأملاك والمستعمرات البريطانية التى تشمل خمس مساحة الأرض وفى هذه المستعمرات يكثر الانجليز وتنتشر لغتهم حولهم . فان عدد أهالى الامبراطورية البريطانية يزيد على ٥٦٠ مليونا يضاف اليهم ٢٠٠ مليونا من سكان أمريكا ومجموع ذلك أكثر من ثلث سكان العالم

٣ — ان الامريكيين يعملون على نشر هذه اللغة أكثر من الانجليز أنفسهم لا تساع تجارتهم وازدياد سكانهم .

٤ — أنها لغة التجارة أيضا فى الشرق الاقصى والهند ، وهى لغة التفاهم بين الهنود ، وهى اللغة الاوربية التى يدرسونها فى مدارسهم إلى جانب لغاتهم كما هو الحال بمصر والسودان والعراق وفلسطين. وعدد الهنود كما نعرف نحو ثلثمائة وخمسين مليونا يزداد من يعرف الانجليزية منهم سنة عن أخرى ..

٥ — هى اللغة المفضلة عند اليابانيين ، يتعلمونها الزاميا فى مدارسهم ويتحدثون بها فى مجتمعاتهم الى جانب لغتهم وفى بعض بلاد اليابان تصدر جرائد انجليزية مهمة . وهى أيضا لغة الزامية بالمانيا وغيرها من الامم الناهضة

٦ — ازدياد عدد الطلبة الذين ينزحون من جميع الامم إلى انجلترا والولايات المتحدة لطلب العلم فى جامعاتها ومدارسها والتخصص فى معاملها ومعاهدها

٧ — ازدياد عدد الكتب والمجلات والجرائد الانجليزية التى تطبع منها عشرات الملايين فى كل يوم وتوزع فى جميع أنحاء العالم

٨ — السينما الناطق ينطق معظمه بالانجليزية ، وأعظم الشركات السينمائية فى العالم هى الشركات الامريكية ولذا فهو وسيلة عظيمة لنشر هذه اللغة لا سيما بين محبى السينما الذين لن يفهموا الاحاديث أو يتمتعوا بالمناظر حتى يعرفوا الانجليزية..

٩ — انتشار موسيقى الجاز والاغانى الانجليزية فى جميع أنحاء العالم حتى أنها وصلت الى زنوج افريقيا

١٠ — انتشار الالعاب الرياضية على اختلاف أنواعها . وكل اصطلاحات هذه الالعاب انجليزية تتناقلها الامم ولا تترجم ، كما نرى بمصر فى اصطلاحات كرة القدم والتنس وسائر الالعاب

١١ — انتشار الراديو اليوم بانجلترا وأميركا انتشاراً هائلا وهو يذيع الخطب والاقوال باللغة الانجليزية وتصل كلها إلى جميع انحاء العالم حيث انتشر الراديو فى كل مكان ..

١٢ — مرونة اللغة الانجليزية واقتباسها كل ما يروقها من الالفاظ الاجنبية مما جعلها متجددة الشباب آخذة فى الاتساع لا تعتمد على لغة أخرى فى تفهم الاساليب العلمية ..

١٣ — سهولة قواعدها التى يمكن للاجنبى أن يحذقها فى وقت قصير بالنسبة الى اللغات الاخرى وهم يدعون اليوم الى تبسيط الهجاء الانجليزى حتى يطابق السمع ولا يكون به شذوذ وكذا تبسيط القواعد اكثر مما هو

١٤ — ان اللغة الانجليزية هى اليوم لغة السياسة لاسيما ان الانجليز هم محور السياسة العالمية ولذا نرى جميع الحكام والساسة يتكلمون الانجليزية ونرى أنها اخذت تحل محل الفرنسية

١٥ — حب الاسفار والسياحة عند الانجليز والامريكيين وانتشار تجارهم فى جهات الارض كلها حتى تغلغلت بين القبائل الهمجية ..

هذه الاسباب تجعل اللغة الانجليزية اليوم فى مقدمة اللغات انتشارا وقوة وهى بذلك كما يرجح ستكون اللغة العالمية التى سوف يتعلمها كل انسان الى جانب لغته حتى يأتى اليوم الذى تقتصر فيه الانسانية المتحدة على لغة واحدة

الطالب والمدرسة والوطن

للدكتور وطسن مدير الجامعة الامريكية



تحت هذا العنوان ، وفي هذا الموضوع الفضفاض ، أريد أن أبحث في اجتياز المرحلة الدقيقة التي تجتازها الامة المصرية اليوم ، ونصيب التربية من هذه المرحلة ، وبخاصة ما قد تستطيع الجامعة الامريكية أن تؤديه من الخدمات الجليلة ، المتشبعة بروح الصداقة والوداد في هذا السبيل ، وان تلك هذه الخدمات متواضعة في نوعها ، محصورة في مداها

ولنستهل البحث أولا بقياس الحياة القومية الجديدة التي تمخضت عنها سيادة البلاد واستقلالها ولنتساءل عن الفروق الناجمة عن هذه الحياة الاستقلالية ، وما أصبح الآن بفضلها مستطاعا مما كان قبلها و بغيرها مستحيلا . وواضح ان هذا السؤال يمكن ان يكون أحد اثنين : أولهما ذلكم الذي لا يمنيه من هذه الحالة سوى اشباع مآربه الذاتية ، وما يجنيه هو في هذا الموقف من النفع المادي ذلكم الذي لا يجول بخاطره سوى الوظائف التي تفتح ابوابها أمامه ، وما ينجم عنها من زيادة في المرتب ونقص في ساعات العمل . هذا هو الأناني الذي يدور محور تفكيره حول هذا الهدف . ترى ما الذي يعود علي انا من هذا الاستقلال ؟ واذا اتخذنا البلدان الاخرى مقياسا ، بما في ذلك بلادنا — ولايات امريكا المتحدة — فان عدد الذين يقتحمون أبواب الحكومة لغنم ما يستطيعون من الغنائم ليس بالقليل ، وليس ثمة ما يصدهم عن اشباع مطامعهم الاشعبية سوى سخط الرأى العام

بيد أن هناك والحمد لله ذلك النوع الثاني من أبناء الامة ، الغيور على وطنه ، الذي يتجه تفكيره شطر طريق مباين للنوع الاول . ذلكم هو الرجل الذي يسائل نفسه . ما هي المسئوليات الجديدة التي تترتب على هذا الاستقلال ، . فأتحمل نتائجها ؟ واني لي ان أقوم بنصيبي منها !

وللاجابة عن هذا السئوال بروح الاخلاص المنزه عن الغرض ، خليق بنا ان نحلل الموقف وان نبدي ما عن لنا من الملحوظات الآتية

يلوح لي باديء ذي بدء أن فوز مصر باستقلالها التام لن يحدث في نظام حكومتنا تغيرا يذكر وهذا أمر يظهر في غاية الغرابة ، اذا وازنا بين مصر اليوم وولايات امريكا المتحدة في بدء عهدها بالاستقلال ، كانت تلك البلاد في ذلك الحين تتألف من ثلاث عشرة ولاية مستقلة بعضها عن بعض وكان عليها ايجاد حكومة مركزية تضمها جميعا تحت لواء واحد . ولكن عليها ان تضع دستورا

وتنشيء مجلسا نيابيا . وتنتخب رئيسا للجمهورية ، وتشيد قاعدة فى واشنطون ، وتؤلف وزارة وتنظم غير ذلك من المصالح المتشابكة التى تسير دفة الاعمال فى الحكومة الاتحادية الجديدة بيد أن مصر لحسن الحظ أسعد حالا ، وحالتها فى هذه الناحية اقل تعقدا ، ومهمتها أخف عبئا فهى تتمتع بدستور راسخ البنيان ، ولها مليك شاب يبشر يمن طالعه بعمر مديد ، ولها مجلس نيابى قائم باعباء وظيفته خير قيام ، ولها وزارات حنكتها الايام وأكسبتها دراية وخبرة منذ عهد بعيد . وليس ثمة مما تحتاجه البلاد من الانظمة الجديدة ما يستحق الذكر ، وليس هناك مايدعو لاعادة التنسيق فى أى مرفق من هذه المرافق . وبلاد بلغت نظمها هذه المنزلة السامية ، تبشر بنجاح اكيد فى حياتها المستقلة الجديدة

ورغم ذلك فليس هناك من يستطيع اغفال الحقيقة الواقعة ، وهى أن هذا الاستقلال حادث تاريخى مشهور ، له اسمى منزلة فى حياة الامة المصرية . وتظهر أهمية هذه الصفحة الجديدة فى تاريخ وادى النيل الخالد جلية للعيان ، اذا ما شبهنا مصر بشاب يغادر لاول مرة منزله واسرته وينزل فى ساحه العمل مغامرا طلبا للرزق ، وامامه شبح المسئولية ماثل ، فلا يفتأ مناجيا نفسه ! هل ترى يكون نصيبى الفشل أم النجاح ؟ غير ان ابتهاجه بحياته الجديدة وحماسته المتقدة لا تقلان عن خشيته من اعباء المسئولية ، ذلك لأنه بدأ يشعر حقا بأنه هو المسيطر على نفسه ، المالك لذاته . ولا يبرح هذا الشعور أن يقوى فى نفسه العزيمة الصادقة فيتقبل التضحية بصدر رحب املا فى النجاح مغامرا فى لجة هذه الحياة الجديدة التى أخذ يخوض غمارها

لقد عدت الى مصر منذ شهرين بعد غيبة قصيرة فى أميركا ، فأذهلنى مارأيت من دلائل الروح الجديدة منبثة فى طول البلاد وعرضها ، وعلى الاخص فى الناشئة . وأول ما شاهدته من هذه الروح كان فى طلبة هذا المعهد حيث سمعت جمعهم ينشد فى حماسة وقوة النشيد الوطنى ، وشهدت بعد ذلك فى دور السينما تصفيقاً حادا كلما خفق العلم المصري على ساريات المبانى والقصور . هذه وأمثالها تنبيء بالشعور القومى الذى يمكن تسخيره للعمل والخدمة الى درجة عظيمة المقدار

ولا مندوحة فى أن هذه الروح الجديدة التى تبلغ فيها الحماسة والوطنية مبلغهما تفتقر الى التوجيه والارشاد . لقد سبقت الاشارة الى ذلك الشعور الانانى الذي يتخذ الاستقلال سلما يصعد به الى مآربه الذاتية . ولا يفوتنا ان ننوه كذلك بأن الوطنى الملتهب حماسة مع بعده عن الانانية ، وبراءة مقصده ، فى حاجة ملحة الى هذا التوجيه وذاك الارشاد ، والا استحالت وطنيته هتافات وخطبا جوفاء ومظاهرات بغير عمل ، وبدت فى ثوب قومى قشيب يبهر ظاهره الابصار ، وتجلت فيه مظاهر الابهة والعظمة والادعاء ، وقد تتخذ الروح العسكرية لوائح الفخامة لمجرد الزينة لا أداة

للذود عن حياض الوطن

على أن هذه الروح الجديدة يمكن توجيهها الى القيام بأجل الخدمات نحو الامة كمكافحة الامراض المتاكة التى حدت برجال القرعة العسكرية فى سنة ١٩٣٤ – ٣٥ أن يرفضوا ٨٢ فى المائة من الذين تقدموا للفرز العسكرى ، وكتوافر الماء النقى فى كل قرية مصرية ، وانشاء المدارس القروية الكافية للقضاء على الامية فى المناطق الزراعية ، وتأسيس المصانع أنقاذاً للبلاد من خطر الشبان العاطلين الذين لا يستطيعون الكسب من الزراعة . وتطهير المدن من مهاوى الرذيلة ،وازدحام المنازل الحقيرة بساكنيها ، مع خلوها من الوسائل الصحية ، وانشاء الملاعب الفسيحة للاطفال والناشئين ، حتى يشب رجال الغد أصحاء بدنيا وخلقيا ، واخلاء الشوارع من المتسولين والاحداث الهمل ،وغرس المبادىء التى تعمل على تنمية روح التعاون والتفاهم وحسن النية بين الامم ، ولا يخفى ما ينبغى أن يكون لمصر فى هذا من النصيب الوافر نظرا لوقوعها جغرافيا على مفترق الطرق العالمية

كل هذا يحتاج الى توجيه وأرشاد وزعامة من الطراز الاول ، فى جميع مرافق الحياة القومية من اجتماعية ، واقتصاديه وقضائيه ، وتعليميه ، وسياسيه . ونظرا لاهمية هذه المرحلة الجديدة التى تقطعها مصر فى تاريخها الحديث ، فانها على استعداد تام أن توجه الهدف الى أسمى الاغراض وأعلى المثل ، طالما كان زعماؤها فى كافة المرافق الحيوية يتصفون بالنزاهة ، والبعد عن الغرض . وهنا تلعب المدرسة دورا خطيرا . وكيف يتسنى لنا أن نبحث عن زعماء الغد خارج دور التعليم أسمحوا لى أولا أن أشدد النبرة على الصفات التى يجب توافرها فى الزعامة ،ومنها نحكمون بأنفسكم على الاغراض التى نحاول بلوغها بما نزاوله من الاعمال فى هذه الجامعة

الصفة الاولى التى يجب توافرها فى الزعامة هى التماسك القومى وامتزاج الزعيم بالكتلة الوطنية لحما ودما . لان الزعيم على النقيض من « الدكتاتور » الذى لا يحتاج التعرف الى هذه الكتلة أو العطف عليها ، اذ انه لا يعير التفاته الى شعورها ، ولان همه منصب على تعلية ارادته على الشعب بغير أشفاق أو رحمة . وليس الزعيم الحق كذلك لانه يستوى مع الشعب ان لم يكن بحكم النسب فبالعاطفة والامانى . أضرب لذلك مثلا بصموئيل كومبرز الذى أصبح من أكبر زعماء العمال فى أميركا . كان ذلك الزعيم فى الاصل شغوفا بالموسيقى ، وكان يمكن أن يكون كوكبا لامعا من كواكب الاوبرا ، ولكنه رأى بعينيه العمال العاطلين يتضورون جوعا بسبب انشاء الآلات وسمع أحد عمال النسيج يهتف صارخا : « رباه خذ حياتى بيدك ، زوجى وأولادى فى حاجة الى الخبز وأنا عاطل من العمل » فألقى الغناء والموسيقى جانبا ، ووقف نفسه على خدمة العمال والعمل بينهم

وهذا غاندى ، أتم دروسه الجامعية ، وكان من كبار رجال القانون ضليعا فى مهنته ، ولكنا نراه يزج بنفسه بين أفقر طبقات الهنود وبذلك مهد لذاته السبيل الى الزعامة الحقة للملايين من شعبه . ومما يؤسف له أن المدرسة كثيرا ماتعجز عن بث هذا النوع من الزعامة فى نفوس طلبتها وكثيراً ما تجد الطلبة يساورهم الغرور والزهو وغيرهما من الصفات التى تفقدهم شروط الزعامة ، وتعمى أبصارهم عن رؤية حاجات المجتمع ، ومطالب ابناء جلدتهم .

اننا فى هذا المعهد نعنى كل العناية بهذه الناحية ، ونحاول أن نخلق فى نفوس الطلبة روح العطف على الانسانية بفضل الرحلات والزيارات التى يقومون بها الى المستشفيات والملاجئ والقرى أو للاحياء المتواضعة فى المدينة والسجون والمصانع ، ومن أهم اغراض هذه الزيارات العطف على السواد الاعظم من ابناء الامة ، وهو من اجل صفات الزعامة

ومن الصفات التى لا ريب فى وجوب توافرها فى الزعيم الذكاء . ولسنا نعنى هذه الصفة الالمام بما فى بطون الكتب من المعارف ، انما نعنى بها مجموعة الصفات اللازمه لحل المسائل العامه ، وتحليل المواقف وتقدير عواملها . فاذا ما خلت هذه الصفه من زعيم كان مثله مثل جاهل يقوده جاهل مثله . وهذا النوع من الذكاء يتضمن ضربا من حب الاستطلاع الصحيح

قيل عن المخترع الشهير توماس اديسون أنه ولد وعلامة الاستفهام تختلج على شفتيه . فقد كان منذ نعومة اظفاره يمطر والده وابلا من الاسئلة . وكلما قال والده لا ادرى اجابه الطفل اديسون . ولم لاتدرى ؟ وقد بلغت هذه الصفة فيه انه كان يختلف الى احوض السفن فيتدفق من فمه سيل الاسئلة حتى اقترح اولو الامر هناك ان يعين له موظف خاص للاجابة عن اسئلته انقاذا للموقف ، وتوفيرا لاوقات المهندسين والصناع

وكان العالم الطبيعى — اجسى — فى حب الاستطلاع تضرب به الامثال ، حتى ان حديقته ومنزله وحجرته الخاصة وجيوبه مكدسة بالعينات التى يراد فحصها . وحدث مرة انه كان يتناول العشاء مع عدد من ضيوفه ، فأثيرت مناقشة حادة حول الفرق بين نوعين من الضفادع ، فما كان منه الا أن مد يده الى جيبه وأخرج ضفدعا تعزيزا لرأيه ، فأدهش الحاضرين ولانعد حضرات والدى الطلبة وأولياء امورهم اننا نستطيع ان نبث فى الناشئين فى هذه الجامعة هذه الدرجة من حب الاستطلاع ، انما نعدانا نستطيع ان نوقظ فيهم شديد الرغبة والشغف بالعلم حتى تدفعهم هذه الرغبة الى تجاوز الكتب المدرسية ، وتغريهم بحب البحث والتنقيب فى بطون الاسفار فى

المكتبات العامة ، والتغلغل بعد ذلك فى عالم الحقيقة

والزعامة والطاقة صنوان لايفترقان . ومن الخطأ المشاع ان الناس يفكرون فى القوي الجثمانية كلما ذكروا كلمة طاقة ، فى حين ان هذا التعبير لاقيمة له ، اذا لم يكن منصبا على صفة من صفات العقل . وكانت هذه من ابرز الصفات التى اشتهر بها ابرهام لنكولن ، من رؤساء ولايات اميركا المتحدة . وقد قيل عنه وهو شاب انه توظف مساعدا لمهندس مساحة ، فسار على قدميه عشرين ميلا لدرس ماتتطلبه هذه الوظيفة . ولما ان وجد انه لم يدر شيئا فى عمله الجديد بعد هذا الجهد ، لم يثن ذلك من عزمه ، بل واصل ليله بنهاره ستة أسابيع حتى اشفق عليه جيرانه ، وحذروه من نتيجة هذا الاجهاد ، الذى ينذر حياته بالخطر . غير ان ذلك لم يردعه بل ظل مجاهـدا حتى ملك ناصية عمله . وكذلك عندما عقد النية على الاشتغال بالمحاماة ، فانه أخـذ ينقب فى اكداس من الاوراق عن نسخة قديمة الأثر ، مبعثرة الاوراق ، كانت تحوى مذكرات قانونية ذات شأن حتى عثر عليها ولم شعثها وانكب على قراءتها واستيعابها حتى ألم بما فيها رغم انه كان فى ذلك الحين يستعين على تكاليف الحياة من متجر يحتاج الى الكثير من وقته الذهبى

على ان السؤال الذي نتطلب جوابه — هل فى استطاعة المدرسة ان تربى هذه الصفة فى نفوس طلبتها ؟ واجابة عن هذا السؤال نعتقد ان هذا من المستطاع ، ان لم يكن فى كل الاحوال ففى اكثرها . ولا نعتقد ان ذلك يتأتى بطريق حشو الذهن وكثرة الاستذكار ، وتكديس المعلومات ، ولكنه يأتى بطريق المناقشة ، وبخلق جو مدرسى تسود فيه اليقظة ، ويتوافر فيه النشاط العقلى ، ومصر المستقلة فى حاجة الى هذا النوع من الزعامة الذى يتوافر فيه معين لاينضب من هذه الطاقة ، التى يتطلبها هذا المنهاج من مرافق الاصلاح فى شتى النواحى

ومن اسمى صفات الزعامة سمو الخلق وهنا ننتقل من الكلام عن الصور الذهبية الى الصور الخلقية . فالزعيم يجب أن يكون موضعا لثقة الناس به ، لما جبل عليه من الاستقامة ورصانة الخلق وهذه الصفة تفسر لنا النجاح الذى يصيبه الزعماء المتواضعون فى كفاياتهم ، المتوسطون فى مواهبهم العقلية . فهؤلاء لو لم يتخلقوا بكريم الصفات لما كانوا موضع ثقة الناس فيهم ولما وفقوا الى ذلك النجاح

كان هربرت هوفر من رؤساء الولايات المتحدة بامـيركا مؤخرا فى خلال الحرب العظمى . وقبل أن يتقلد الرآسة كان مضطلعا بادارة التموين فكانت تسيل بين انامله مـلايين الريالات ، حتى انه كان يكفى ان تكتب التحاويل المالية الى هربرت هوفر وكفى . وقد بلغت هذه التحاويل

زهاء مليونين واربعمائة مليون ريال فى الشهر الواحد ومع ذلك فانه لم يخامر احدا خلجة من الشك فى طهر ذمته . فهل تدهش بعد ذلك اذا فاز برياسة الجمهورية ؟ اليست هذه الصفة المحمودة وهذا الاخلاص الصافى وتلك الامانة النقية هى التى جعلت لغاندى فى الهند هذه السلطة التى لاحد لها بين الملايين من شعبه ؟

هناك بين الاسماء التى يتألق نجمها فى سماء الاحسان . وعمل الخير فى انجلترا — اسم جورج مولر — فقد انشأ خمسة ملاجىء كبيرة للايتام بلغ مجموع داخلها عشرين الف نفس . وقد بلغ من شهرة هذه الملاجىء ان تدفقت سيول التبرعات والهبات والوصايا على خزانتها ومع ذلك فقد كانت تضحيته واستقامته وامانته أبعد من أن يمس درهما منها . وقد بلغت هذه الاموال مليونا ونصف مليون من الجنيهات ومع ذلك فقد مات وورثاؤه ثروة ضئيلة لاتتجاوز المائة والسبعين جنيها فهل تدهشون اذا اتسم بين الانجليز بزعيم المحسنين ؟!

ان مصر المستقلة تطمح فى أن تكافح الفقر والمرض والجهل بفضل زعمائها الاجتماعيين وهؤلاء لابد أن تتوافر فيهم صفة استقامة الخلق . وكثيرا مايوجه الناس الى معهدنا بعض الانتقادات بدعوى اننا نفسح فى مناهجنا مجالا واسعا لدرس الاخلاق والاكثار من الاندية والجماعات والرحلات . غير ان لدينا مايحمل على الاعتقاد بان هذه كلها فى مقدمة ماينبغى أن تعنى به معاهد التعليم اذاشاءت مصر المستقلة أن تبلغ أمانيها القومية

وأخيرا اذكر تلك الصفة العظيمة التى تتطلبها الزعامة الا وهى سعة الاطلاع واتزان الحكم فمن السهل جدا ان يكون المرء متصفا بالتعصب ، أى أنه يركز رأيه فى نقطة ضيقة محدودة غير أن الزعيم الحق هو ذلكم الرجل الذى يحيط بالمسألة من جميع نواحيها وينظر الى الموقف نظرة فاحصة عامة فى مجموعها . ولو ان موقع مصر الجغرافى فى مكان افغانستان أو فى منطقة بحيرة شاد فى افريقيا بعيدا عن الأمم الأخرى ، لما احتجت الى اتساع الأفق فيما يتعلق باتصالها بالأمم الأخرى . ولكن مصر لايتسنى لها أن تعيش فى منأى عن غيرها من الأمم ولايمكن أن يرضى شعبها لها ان تكون كذلك . واذن فلابد لها من الاتصال بغيرها من الدول وهذه العلاقات الدولية من شأنها ان تزيد الحياة رغدا وغنى ورفاهية اذا حسن وضعها فى الموضع اللائق بها . ولا يتاح لها هذا إلّا بسعة الأطلاع ومرانة التفكير العقلى

الثورة والادب

ان الاحداث التى طرأت على البلاد بعد الثورة العرابية وماكانت عليه الحال الى سنة ١٩١٩ قد جعلت الادب حائراً مضطرباً حيرة العقل المصرى واضطرابه طول ذلك الحين . بل ان اضطراب العقل المصرى لم يهدأ ولم يستقر حتى حفزته الحرب الكبرى الى التطلع نحو المبادىء التى اشتعلت من أجلها نيران هذه الحرب . فلم يكد بشير السلم يحمل لواءه ويغنى أغنية السلام حتى هبت مصر الثائرة تنادى العالم اجمع أن يعترف بحقوقها وسيادتها واستقلالها . وخاضت البلاد مغامرات قاسية زادت العقل المصري تمسكا بعصريته وقوميته وطغت على البلاد حكومات ديكتاتورية حاولت - وبئس ما حاولت - ان تطفىء نور الوطنية من قلوب الناس وان تحكم البلاد بالقهر والعسف ، ولكن الحق على غلاب وروح الامة هو الذى يملى ارادتها فى النهاية ، وهو الذى يقرر دستورها واوضاع حياتها دائما .

وليس شك فى ان الادب تأثر بهذه البيئة السياسية القلقة بين الاضطراب والاستقرار . بين التردد والخوف . والتطلع والامل . والحكم والقهر . والحزبية والقومية . والاثرة والفداء والكبت لروح الامة أحيانا ، والثورة والتحطيم أحيانا أخرى . حال مضطربة فى جميع نواحيها يجتازها الادب ويتأثر بجميع الوانها من خير وشر وحرية وعنف . وكانت غاية الادب التطلع الى حياة مغردة مملوءة بمعانى الحرية والجمال ، فلقد كان الاستقلال انشودة والحرية املا . وكانت الحياة الاجتماعية تجتاز ظرفا مضطربا عصيبا ، وطن مفقود الكرامة مركزه الدولى غير محدود ولا معروف والاجنبي يحتله ويصرف أموره كيفما شاء وامتيازات اجنبية هادمة لجميع معانى الكرامة - والناس احزاب وشيع والصحافة مترددة بين عصا السلطان ومطالب الشعب - حال حيرى . وحكومات تتولى لتزول بعد حين ، وبرلمان تفتح أبوابه فى الصباح باسم دستور البلاد فيغلق فى المساء باسم القوة والاستبداد . وأحزاب مفتعلة لاتمثل رأى الأمة تتكىء على سلطان المحتل وتقوي بروحه وتشتد بنفوذه . هذه الحال لم تكن لتخرج الا نوعا مضطربا من الادب ولكنه طريف سلك بالنثر طريق الكفاح والجدل والمناقشة والخطابة . ثم وجدت القضايا السياسية الكبرى التى دبرت لزعماء البلاد . فسلك النثر طريقا نحو البلاغة الكلاميه فى أساليب لبقة باهرة . وقامت خطب فى البرلمان هى مثال يحتذى فى الادب - ولسنا ننسى ماكان لزعيم البلاد خالد الذكر سعد زغلول من أثر فعال فى وضع القيم الادبيه للخطابة مما أثر فى توجيه الادب نحو القومية المصرية الخالصة

وظهر ادباء عديدون وشعراء من شباب البلاد جعلوا القومية منار الهامهم . ومهبط خيالهم . حتى كادت الاخيلة العربيه القديمة تزول من الشعر المصرى الحديث . فاندثرت ذكر الصحراء والناقة والأطلال والربوع - وحل محل هذا كله ما يستوقف الشاعر المصري من الهام يجده فى جمال النيل وصفاء الطبيعة وفيما تلهمه اياه حياة الريف المصري من مناظر وشعور وتفكير وما توحيه اثار مصر القديمة من مجد وفخر . وبدأت القصه المصريه تتكون مصورة البيئة المصرية من حيث الغرض والأسلوب وسياق التفكير

المنجوري

كتب الشهر الجديدة

التعاون الزراعى

تأليف الدكتور ابراهيم رشاد : جزءان الاول – ٣٤٤ صفحة
والثانى ٣٣٣ صفحة من القطع الكبير طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق

مؤلف هذا الكتاب هو مدير قسم التعاون فى وزارة الزراعه . وليس التعاون عنده مجرد معارف ومعلومات عن الحركة وانما هو عقيدة يؤمن بها ويسعى لها باعتباره اعظم الوسائل لترقية الريف المصرى . وقد عاش فى ارلندا سنوات درس فيها الحركة التعاونية علما وعملا ورأى فيها الحل لمسائل الريفيه عندنا . والجزء الاول يبحث التعاون بالوانه العديدة فى الامم المختلفة مثل انجلتر وارلندا والمانيا .وبه فصلان ممتعان عن الاقراض التعاونى فى المانيا يجدر بكل من يهتم بانقاذ الفقراء من المرابين ان يدرسهما . كما ان به فصولا عن جمعيات الزبدة وجمعيات البيض والدجاج مما يمس مسائلنا الريفيه اشد مساس

اما الجزء الثانى فيعالج مسائل التعاون وتقدم الحركة التعاونيه فى مصر . وبه فصول مسهبة عن «التعليم والتعاون» و«المشاكل الاجتماعيه للحياة الريفيه» الخ ..

ونحن ازاء ٧٠٠ صفحه من الموضوعات المدروسة نعجز عن الاختيار فان كل صفحة جديرة بالدرس والتأمل . ولكننا ننقل هذه الكلمات التالية لكى يعرف منها قراء هذه المجلة ان المؤلف هو من الطراز الذى يحبونه ويقدرونه . فقد قال عن المرأة

«واظن أنه يحسن الا يغيب عن اذهان قادة الشعب ان مصر تجتاز الآن مرحلة انتقال وأنه ينبغى ان ينظروا وجه الصواب من ان تتاح للمرأة المصرية فرصة لاثبات قيمتها والاهتداء بنفسها الى العمل الذى يجب ان تقوم به فى الحياة العامة . ولا فائدة من جحد حقيقة واقعه هى ان الاصلاح فى مصر قائم على قاعدة اوربية فنظمنا السياسة وطرقنا التعليميه وحكومتنا المحليه وسياستنا الدولية بل ومبادئنا العليا لم تعد ذات صبغة شرقية . وقد قال الخديوى اسماعيل هذا القول منذ أعوام خلت وأيدت الحقائق أقواله . لهذا يجب الا نغمض أعيننا أو نصم آذاننا كلما عرضت مسألة المرأة

وتحريرها على بساط البحث ، بانه لا بد يوما ما أن نواجه هـذه المشكلة فلماذ لا نواجهها من الآن ونجتهد فى حلها من تلقاء انفسنا بعقل واسع وصدر رحب ؟ اليس خيرا ان ندرس هذه المسألهمن الآنونرسم الخطة القومية التى تحرر نساءنا تدريجيا ، وتعلمهن وترفع مستواهن وتعدهن للعمل الذى ينبغىأن يقمن به مع الرجالفى تشييد مصر الـكبرى ؟

«انالنساءفى اوربا لسن بمعزل عن أعمال الرجال وامثلتهم العليا وامانيهم . وكلاالفريقين هناك رفيق للاخر يعمل معهفى وفاق ويشاطرهعبء البيتوالوطن .كلاهما مستعد بطبيعته للقيام بواجبات معينة فى حياته الخاصة والعـامة ولـكل وجهة فى النظر الفـكري ، ولـكل موهبةنماها عمله، فاذا لم ينتفع بهذاكله فى تشييد مصر الـكبري فستضيع امتنا بين هذا وذاك . ولنحول وجهناشطرالغرب وننظر الى العمل الذى تقوم بهالنساء هناكوبخاصة فى انجلتراوأمريكا،فانهاذا اقصيتالنسوةالمتعلمات المثقفات عن ميدان الاصلاح الاجتماعى شلت حركة العمل فيه . ولا مشـاحة فى انعملهن فى الهيئات العامة والمجالس المحلية والانظمة الاقتصادية والاعمال الاجتماعية ذخر عظيم لبلادهن»

الاجرام السياسى

تأليف لوى بروال وترجمة الاستاذ حسن الجداوي

صفحاته ٣٢٧ من القطع المتوسططبع بمطبعة حجازي بمصر

هذا الـكتاب يتناول موضوعا يجب ان نهتم له فى طورنا السيـاسى الحاضر والمستقبل فانه يعالج الفساد السيـاسى والألوان التى يتخذها . وقد بدأ بفصل عن المكيافيلية . ثم القتل السياسى . ثم قتل الطغاة . ثم الفوضوية . وهذه كلهـا فصول ليست فقطمنيرة بل هى أيضا تقرأ فى لذة القصص وفى الـكتاب اربعة فصول على فسـاد الساسة فى انجلترا وفرنسا واثينا وروما وفصل على علاقة السياسة بالاخلاق العامة . ولا يمكن غير مؤلف فرنسى ان يؤلف مثل هذا الـكتاب فان تاريخ بلاده حافل بالوان الغلو فى الجمود والغلو فى الثورة كما هو حافل بالانقلابات والدعايات . ولـكن المؤلف لم يقتصر على ضرب الامثلة من التاريخ الفرنسى . ومن احسن ماقاله المؤلف هذه الـكلمات البارة فى خاتمة الـكتاب :

«ومن مصلحة الأمم ان لا تفرق بين السياسة والأخلاق فىعلاقاتها المتبادلة.انالسياسةالسليمة كالاخلاق الطيبة تطلب العدل وحسن المعاملة وهما قوام السلام وما يتبعه من خير اما السياسة التى تعلم الامم الحسد ، والبغضـاء ، والسبـاب ، والاسترشاد بمصلحتها الذاتية فى تصرفاتها ، وحسم

الخلافات التى تنشأ بالقوة وحدها ، لهى سياسة مجرمة وخاطئة . والساسة الذين يشيرون بهذه السياسة النفعية الضيقة ، سياسة الحسد والشر هذه ، قصار النظر يرون مصلحة الساعة ، ويغمضون عيونهم عن المصالح المشتركة بين الشعوب ، وبالاخص عن النتائج الضارة للعداوة والحروب ، وينسون فوائد السلم وفظائع الحرب »

ولغة المترجم واضحة مفهومة . وهى ليست فقط خالية من التقعر والاغراب بل هو يبذل مجهودا موفقا لتقريب المعنى الى القارىء

دائره معارف المنزل الحديث

تأليف الانسة بسيمة زكى براهيم — مجلدان — الاول ٣٠٣ صفحات والثانى ٣١٨ صفحة من القطع المتوسط مزين بالصور قامت بنشره مكتبة النهضة

يعرف القراء مؤلفة هذا الكتاب بمؤلفاتها السابقة فى «المكتبة المنزلية» فان لها كتابا عن المطبخ الحديث . واخر عن الفطائر الحديثة وثالث عن صناعة المربيات ورابع عن المطبخ الشرقى . وهذان الكتابان الاخيران يحتويان كل مايهم السيدات من ناحيتى ترتيب البيت وتربية الطفل مع الصور العديدة لهندسة البيت وأثاثه وحياة الطفل . وهذا هو المجلد الأول . اما الثانى فيحتوى كثيرا من الارشادات الخاصة بعناية الفتاة بصحتها وجمالها من ناحيتى الوقاية والعلاج . وبه فصل مسهب عن الرياضة البدنية للفتاة

والطبع انيق والصور واضحة والشروح وافيه . ولا بد ان هذين المجلدين سيلقيان الرواج الذي لقيته المجلدات السابقة . فان المؤلفة اختصت بدرس المنزل وربة البيت . وهى تكتب لكى تعلم وتفيد . والسيدة او الآنسة التى تعنى بجمالها او بجمال بيتها تنتفع كثيرا بقراءة هذين المجلدين اللذين يرشد انها الى الذوق الحديث

بين العقل والجنون

تأليف الدكتور محمد حسنى ولاية صفحاته ١٤٦ من القطع الكبير . طبع بمطبعة التعاون بالاسكندرية

هذا الكتاب هو مجموعة فصول خفيفة مسلية عن المجانين ومن يقاربونهم من العقلاء . والمؤلف محدث أكثر منه شارح . ولذلك يقرأ الكتاب فى لذة لوفرة الامثلة عن اخلاق المجانين وسلوكهم . واليك احدى القصص عن واحد من هؤلاء تحت عنوان

يروج اعمال البوليس

دعاني احد اقسام البوليس للكشف على مجذوب فلبيت . واذا ببضعة اشخاص من صغار التجار مصطفين امام ضابط القسم يجادلون رجلا طويل القامه قوى البنية وهو بطل هذه القصة

قال لى الضابط — لقد ارهقنا هذا الرجل فى كتابة محاضر لهؤلاء الاشخاص طول هذا الصباح وهو يأتينا بين الفينة والفينة بتاجر متهما اياه زورا بتهم شديدة الخطورة كالاتجار بالمخدرات والتعامل بالربا الفاحش وهلم جرا ولم يبد هؤلاء الاشخاص مقاومة فى المجيء معه اتقاء لشره ، والغريب أنه اتقن سبك التهم بمهارة فائقة ولولا تعدد المتهمين وتنوع التهم لما تطرق الشك الى نفسى فى سلامة قواه العقلية

وعندئذ سألت الرجل عن سبب اتهامه لهؤلاء الابرياء بتهم مفلقة ؟ فقال لى أنه يروج أعمال البوليس ويحل النشاط محل الكسل

فقلت له اذن انت تستحق عمولة على ذلك

فقال نعم

فهمست فى اذن الضابط قائلا — ان احسن عمولة له ان ينزل على الرحب والسعة فى زنزانة المجاذيب بالمستشفى الأميرى

اتجاهات العصر الجديد فى مصر

تأليف محمود المنجورى ١٧٤ صفحة من القطع الصغير طبع بمطبعة الشمس . بمصر

هذا الكتاب الصغير يدل على العقلية الحديثة التى تسود كثيراً بعض شبابنا بعد المعاهدة . وهى الاهتمام بشئون مصر كنتيجة للشعور بالمسئولية فى الاصلاح وبعث النشاط والرغبة فى الرقى . وقد عالج المؤلف جملة موضوعات من نواحى الاتجاه الاجتماعى والاخلاقى والمرأة والطفل والتشريع الى الامتيازات والاتجاهات الاقتصادية والفنية . وما احسن قول المؤلف

«ومادامت حالتنا السياسية قد استقرت بعد المعاهدة والمعاهدة المصرية الانجليزية أظهر حدث فى تاريخ مصر بعد الاحتلال الانجليزى — لهذا يجب أن نجعلها حدا فاصلا بين ماض مملوء بالجهاد والأمل ، ومستقبل زاخر بالجهد والعمل — فاذا كان الأديب فى الماضى يفهم الحرية على أنها انشودة عذبة وأمل غال تراق من أجله الدماء ، فتستنشده ما يشاء خياله الخصب من شعر عذب وكلام

بليغ ، فيجب أن يفهم الأديب الآن ان الحرية ليست إلا المسئولية الوطنية التي يجب أن يؤديها بالجهد والعمل . وأن واجب الأديب ليس فى سلوك هذه الاساليب العذبة الرقيقة بل واجبه الآن أن يسلك طريق المجد فيستنشد أدب القوة دائما ليبث فى مواطنيه روح العمل والشعور بالمسؤولية الكبرى التى نشأت عن عهد الحرية والاستقلال .

«أدب القوة وفلسفة القوة هما مظهر حياتنا الأدبيـة الجديدة — ذلك لأن المستقبل مملوء بالاحداث الجسام الملقاة على عاتق شباب هذا الوطن ، وقد تحولت روح الأمة به د استقرار حالتها السياسية إلى روح متطلعة نحو المجد . ساهرة على أداء واجبها لصيانة استقلال عزيز عليها. ومادام الادب صورة حية من شعور الامة وحياة الاديب ، فيجب أن يتجه الادب إلى هذا النحو الجديد ، ويجب علينا أن نلغى المبادىء القديمة التى دعونا اليها من قبل ، والتى أخذ الغرب يروجها بين الامم الضعيفة ، إذ كان يدعو إلى السلام العام فى حين نراه يعمل على زيادة التسلح وتقوية جيوشه وأساطيله ، حتى نشأت نظرية متناقضة أقرتها الدول ، وهى نظرية السلام المسلح

«ان مصر تجتاز الآن مرحلة انتقال وعصور الانتقال من أكثر العصور خطورة فى تاريخ الامم ، لأنها تحتاج إلى دقة لتركيز الحياة واختيار النظم والمبادىء الملائمة لمطالب الحياة الجديدة

«والحياة الجديدة تتطلب من مصر مسئولية لصيانة استقلالها من كل معتد أو مغير ، كما تتطلب منها أن تساهم فى المجتمع البشرى مساهمة عملية يحمل تبعاتها ونصيبها فى ترقية المدنية عامة

«فالحياة الجديدة تحتاج الى الادب القوي ، تحتاج الى الاديب الذى يخاطب الحياة من غرائزها ، الى الاديب الذى يهيء بلاده للمستقبل المحفوف بالمخاطر فينتج أدبا ذا شخصية يشترك المستقبل فى تكوينه تحفزه وتطلعه وآماله »

الحكيم وليلى

قصة تأليف توفيق حسن الشرتونى صفحاتها ١٥٩ من القطع الكبير طبعت بمطبعة صادق فى بيروت

نزع المؤلف فى هذه القصة نزعة اجتماعية تحليلية وتتبع حياة سيدة تقع فى شباك العواطف المتضادة ثم تنتهى بالجنون .وقد عبر عن غايته فى هذه المقدمة التالية بقوله :

ان الهدف الذي يتوخاه الادباء فى منثورهم ومنظومهم هو فائدة المجتمع الانسانى وزيادة رقيه ومعارفه .

فالكتب الادبية التى يقرأها الناس ولاتفيدهم هى بنظرى ليست من الادب بشىء لانهالا تمثل غاية الادب

فكل من يكتب عن اخلاص وعقيدة ودرس واختبار وينبذ التصنع والتقليد، والتعصب للاديان والاوطان والمجاملات الباطلة هو ولاشك يترك للاجيال المقبلة اثرا خالدا مفيدا

ان الصدق فى القول والعمل وفى الاخذ والعطاء ليس فقط هو اساس المعاملات المادية بين الناس بل هو ايضا جوهر الادب الصافى فى هذا الكون

فالادباء الصادقون فى أدبهم المخلصون فى سرد افكارهم وحقيقة شعورهم هم وحدهم الخالدون لان مرور الاجيال يقضى على الاباطيل والترهات ولا يبقى الا على الحقائق

القديس مرقص الانجيلى

تأليف جبيب جرجس وكامل جرجس صفحاته ٧٢

من القطع الكبير طبع بمطبعة الشمس بمصر

مرقص الانجيلى هو مؤسس الكنيسة المصرية . وقد وضع هذا الكتاب فى ترجمته . وقد جمع المؤلفات هذه الترجمة من شواود مشتته فى مجلدات مختلفة . وهما يسلمان بالمعجزات التى تعزوها التقاليد المسيحية الى مرقس الرسول كما انهما يسلمان بنقل رفاته من الاسكندرية الى البندقية .وقد وضعا هذه الترجمة لتلاميذ مدارس الاحد القبطية

وجهة التربية والتعليم فى العالم العربى

للدكتور محمد فاضل الجمالي المفتش بوزارة المعارف العراقية

هى الرسالة الثانية للرسائل التى يصدرها «نادى المثنى بن حارثة» فى بغداد أتى المؤلف فى رسالته على تاريخ موجز لانتقال الثقافة من الشرق الى الغرب . ثم تدرج من ذلك الى المناداة بتوحيد الثقافة والتربية فى العالم العربى لما يربط ممالكه من روابط مختلفة

ثم قسم المؤلف مسالك الثقافة الى . اتجاه غربى ، واخر ينسج على المنوال القديم . وثالث يوحد بين الطريقين . فينقد ويمحص . ويستخلص خير الوسائل وآمنها . وهذا ما ارتضاه الدكتور المؤلف ليكون وجهة للناس

ثم عالج المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية . والصحية . والثقافية فى جميع البلاد العربية فى ابحاث مختصرة جامعة . واتجه بكل ذلك الى غرضه الاساسى وهو « الوحدة العربية »

ثم ختم المؤلف رسالته ببحث عن التعليم فى العراق من نواح متعددة. والكتاب فكرة فياضة وبحث جدير بالعناية يجب ان يكون نواة لبحث الوحدة العربية التى ينادي بها كثير من المثقفين

في الحياة والعمل

بقلم سلامه موسى

قوميتنا الفرعونية

رجولة الامة في خطر

السموم في طعامنا

المتعلمون العاطلون

آلات الحرب

متى نكف عن الأبهة الشرقيـة

الغرض من تحديد النسل

مصر في عصبة الامم

قوميتنا الفرعونية

لا يمكن أمة بلا تاريخ ان تكون لها وطنية . لان الوطنية تحتاج الى ذكريات تثير في الذهن الاحترام للاباء والشعور بصلة الرحم بين ابناء الوطن والفخر بمآثر سالفة وتوحد الجهود الماضية مع توحد الغاية الحاضرة . وكل هذا غير ممكن بلا تاريخ . ولهذا السبب كان للتاريخ على الدوام حرمة تشبه القداسة وتقارب الدين . بل لقد يقف الانسان حائرا فى الفصل بين تاريخ اليهود و بين ديانتهم أيها التاريخ وأيها الديانة ؟ فان التوراة يمكن أن تقرأها كتاريخ كما يمكن أن تقرأها كديانة : ومن هنا هذا التقديس الذى نراه فى المانيا للتاريخ الالمانى . فان الغلو فى الوطنية ينتهى بالتحمس للتاريخ كما ان فتور الوطنية ينشأ من ضعف الحاسة التاريخية

ومصر لن تشذ عن ذلك . فان تاريخها يجب ان يكون قوام وطنيتها . ولكن مصر تختلف، من سائر الاقطار بانها أقدم امة متمدنة على وجه الارض وان تاريخها يمتد الى ستة الاف سنة . كانت فى أربعة آلاف سنة منها امة مستقلة هى تاريخ الفراعنة . ثم كانت فى الف سنة منها امة يستعمرها الرومان واليونان . كما كانت بعد ذلك عربية ثم تركية . ولكنها لا تزال الى الان فرعونية الدم لا يختلف فلاحوها عما كانو قبل ستة الاف سنة .

وهناك بيننا من يدعو الى العروبة اعتقادا بأننا عرب .

ولكن الحقيقة اننا ما زلنا مصريين فرعونيين فى دمائنا وانا نبعد بعدا كبيرا عن السلالة السامية . ووجه الفلاح الحاضر هو وجه تحتمس ورمسيس وستى وخوفو وخفرع لم يتغير ولم يتأثر بالدم الاجنبى الذى عرف فقط فى المدن وجف فيها

فاذا اردنا ان نجعل من التاريخ اساسا للقومية أو الوطنية المصرية فاننا يجب ان نعود الى هذه الاربعة الاف من السنين لكى نعين للامة شخصيتها التاريخية . بل نحن مضطرون الى ذلك لأن الامم الاجنبية لا تعرفنا الا بتاريخنا الفرعونى الذى تملأ آثاره متاحفهم و الذى تؤلف عنه عشرات بل مئات الكتب . وانت حيثما نزلت فى احدى العواصم الاوربية وجدت اثار ابائنا فى قاعات فخمة فى اعظم المتاحف . كما تجد مئات الكتب التى تشرح الحضارة الفرعونية ولا تكاد تجد مع ذلك كتابا واحدا عن مصر أيام الرومان أو أيام العرب أو أيام الاتراك . ولسنا بهذا الكلام ننتقص شأن هؤلاء فى تاريخ بلادنا . بل نريد ان نقول ان الفراعنة يغمرون تاريخنا ومنهم تتكون شخصيتنا

القومية وعليهم نستطيع ان نؤسس وطنيتنا

واذن يجب علينا أن ندرس تاريخ الفراعنة الدرس الوافى وأن تزيد عناية الحكومة بهذا الدرس فاذا كانت الحكومة ستنفق ملايين الجنيهات لايجاد القوات الحربية فانها يجب ان تنفق مئات الالوف على الاقل لكى تعمم الثقافة الفرعونية وذلك بنشر كتب صغيرة وكبيرة يأنس لها التلميذ فى المدرسة والصبى فى البيت والشاب المتعلم والرجل المثقف . لان هذه الثقافة تعبىء عواطفنا لخدمة الوطن وتجند قلوبنا للدفاع عن مصر بما لا تقل فائدته عن قوة المدافع والطائرات . كما يجب ايضا أن توضع التماثيل العظمى فى ميادينا حتى تملأ صدورنا بالفخر وتنبىء الاجنبى عن شخصيتنا القومية التى لا يقل عمرها عن ستة الاف سنه . بل يجب ان يأخذ الطراز المصرى حقه فى المبانى العامة على الاقل ان لم يكن فى المبانى الخاصة . ثم هذه اللغة الفرعونية يجب أن نعرف منها شيئا نتعلمه لكى نتذوق تلك الالفاظ التى كانت فى يوم ما الالفاظ الوحيدة للامة المتمدنة الوحيدة فى العالم كله

ان العالم كله يحترمنا اذا عرف حقيقتنا وهو اننا مازلنا أمة الفراعنة لم تتغير . ولكنه يحتقرنا اذا وصفنا انفسنا بوصف اخر . وهو مع ذلك وصف لا يطابق الحقيقة

رجولة الامة فى خطر

يقول أحد الأطباء فى احدى جرائدنا أن التدرن أو ما يعرف عامة باسم السل يتفشى هذه الأيام تفشياً ذريعاً بين السكان وأنه اذا لم تقم الحكومة بمجهود كبير لصده فانه يخشى من أن يطغى يوماً ما على عدد كبير وعندئذ يتعذر العلاج أو على الأقل يصعب .

ولم يكن التدرن من الامراض المعروفة فى مصر قبل نحو ثلاثين أو أربعين سنة . وذلك لأن هذا المرض مدنى ينشأ وينمو فى المدن حيث الوخامة فى الهواء المحتبس والرطوبة والظلام وقلة الأطعمة المغذية والرياضة المنبهة . ولم تكن القاهرة قبل أربعين سنة مدينة كبرى وانما كانت قرية كبيرة خالية من المصانع يعيش سكانها كما يعيش سكان القرى على مبادىء الاستقلال القروى فى الانتاج والاستهلاك . فكانت الاجسام حية سليمة بالطعام الساذج الطبيعى على الرغم من قلة الأجور . ولكنها استحالت بعد ذلك إلى مدينة يأكل سكانها أسوأ الأطعمة المغشوشة ويقطنون

المساكن المظلمة الوخمة ويعملون فى المصانع طول النهار . واذا لم يشبع الجسم من الغذاء السليم فى هذه البيئة فانه سرعان ما يبلى . وهذا هو الذى حدث فى كثير من السكان

وهذا المرض قليل فى الريف . لأن الهواء الطلق والشمس الصاحية حتى مع المسكن الوخم ومع طعام الذرة والبصل يعدان الجسم للمقاومة . ولكن للريف مع ذلك أمراضه التى جلبها علينا جشعنا الأعمى . فاننا لكى نزيد أرباحنا من زراعة القطن أخذنا نسرف فى الرى حتى تشبعت الارض كالاسفنجه بالمياه فامتلأت بالديدان التى تنتقل الى أجسام الفلاحين فتنهكهم . ولسنا نستبعد كثيراً التفسير الذى علل به رسل باشا تفشى المخدرات بين الفلاحين . فانه يقول ان هذه الديدان قد أضعفت أجسامهم فلجأوا الى بعض المخدرات لتقوية الشهوة الجنسية . وقد تنبهت الحكومة أخيراً الى فداحة هذه الأمراض واكثرت من المستشفيات لعلاجها . ولكن العلاج الحاسم هو تجفيف الارض وأعادتها الى ما كانت عليه قبل أن تسرف فى الرى . وهذا التجفيف لا يخدم صحة الفلاح وحده بل يعيد الى الارض خصوبتها

ورجولة الامة كلها فى خطر من هذه الامراض سواء فى المدينة أم الريف . فان قوة النفس ومتانة الاخلاق والقدرة على المثابرة ودوام اليقظة بل الذكاء نفسه يتوقف على صحة الجسم . وحتى من أجل الجشع فى الكسب هذا الجشع الذى أدى بنا الى اتلاف صحة فلاحينا يجب أن نعود فنعنى بصحة الفلاحين خاصة والعمال عامة حتى تعود اليهم قوتهم فيزداد الانتاج ويزداد الراغبون فى الربح ربحاً . فان الشركات الكبرى التى تقوم بالمقاولات العظيمة للحكومة تطرد عمالها من مهاجرى الوجه البحرى لان الديدان أنهكت أجسامهم وتستقدم عمالا من تلك الانحاء التى لم تعرف الرى المستديم فى الوجه القبلى حيث لا تعيش الديدان . ومن هذا يتضح أن للصحة ثمنها الاقتصادى الذى يحسب بالقرش والمليم . فاذا كانت قلوبنا قد خلت من البر بأبناء وطننا حتى لا نبالى صحتهم فلنفطن الى هذه العواقب الاقتصادية التى تؤذى جيوبنا من تفشى الأمراض بين العمال

ثم يجب على أولئك الغيورين على كثرة السكان أن يفكروا فى هذه الامراض . فان الوطنى الصادق يجب ألا يطلب كما بل كيفاً . والأمة التى يعد سكانها بمئات الملايين لا تحسب شيئاً إذا كانت منهوكة القوى مضعضعة الرجولة بجانب الأمة الصغيرة التى تعنى قبل كل شىء بسلامة الاجسام والعقول فى أبنائها . وعلى كل حال يجب قبل أن ندعو الى زيادة الجيل القادم أن ندعو الى معالجة المرضى من الجيل الحاضر وإلا نبخل بالمال والمجهود لتحقيق هذه الغاية . وخير لنا أن نكون مثل سويسرا او هولندا أمة صغيرة راقية سليمة من ان نكون مثل الهند تبلغ ٣٦٠ مليون آدمى

يعيش أكثر من نصفهم عيش الحيوان بل أقل

وليست حكومتنا فقيرة وخاصة اذا هى عمدت الى بعض مؤسساتها ومصالحها التى لم تنشأ للفائدة المحضة بل لأغراض أخرى فالغتها . مثل هذا المجمع اللغوى الذى نزف الى الآن من خزانة الدولة أكثر من خمسين الف جنيه ما كان احوجنا اليها فى مكافحة التدرن أو البلهارسيا أو الانكلستوما أو الملاريا . ومثل هذه المفوضيات التى يمكن أن تقنع بربعها فى العدد ثم بربع هذا الربع فى النفقات بل مثل بعض هذه المصالح التى يكفينا منها مكتب صغير يحوى موظفاً واحداً أو موظفين اثنين أن صحة الأمة أهم وأخطر من المجمع اللغوي ومن مفوضية فى واشنطون أو كابل أو طهران وما ننفقه على معالجه الامراض وتوقيها نشترى به صحة فى الجسم وذكاء فى العقل ومتانة فى الاخلاق

السموم فى طعامنا

اذا نجحت وزارة الصحة فى مكافحة السموم المتفشية فى أطعمتنا فانها تقوم بأجل عمل وأشرف خدمة يمكن وزارة مصرية أن تقوم بهما للوطن . ويبدو من نشاط الوزارة أنها ماضية فى مكافحة السموم . فانها قبل نحو شهرين أعلنت حكومة استراليا وزيلندا الجديدة انها لن تأذن بدخول الزبدة الأجنبية التى تضاف اليها أية مادة معقمة . وقبل أيام أيضا اعلنت أنها لن تأذن بدخول الجبن الاجنبى الذى تضاف اليه مثل هذه المادة

وكلمة « مادة معقمة » يجب أن تترجم باللفظة التى يفهمها الجمهور لأنها تعنى سما وهو سم بكل معانى هذه اللفظة أى انه اذا أكل منه الانسان مقدارا كافيا مات منه . واذا أكل مقداراً قليلا حدثت له أمراض مختلفة تضعفه اذا كان شابا أو كهلا وتؤخر نموه اذا كان صغيرا

وهذه السموم تخلط بالزبدة والجبن واللحم والمربيات والسردين لمنع التعفن . فان الاحياء التى تحدث التعفن تتأثر بالسم وتموت كما يتأثر الحيوان أو الانسان . بل هى تتأثر اكثر . ولذلك فان مايقتلها لايكاد يؤثر فينا سوى الأثر الدفين المستتر الذي لانحس به . ولكن لو كنا مثلا نأكل السردين كل يوم مدة شهرين لاتضح الاثر ، وقد يؤدى الى الموت . وهكذا الشأن فى جميع الاطعمة المسمومة أى المعقمة . ويصعب جداً أن تقدر الأضرار والأخطار التى تتعرض لها صحة الأمة من هذه الاطعمة مهما كانت قليلة . فقد يكون متناولها طفلا صغيراً تفسد أمعاؤه ويتسمم دمه من قطعة صغيرة من الزبدة أو الجبن أو اللحم المعقم . وقد يكون رجلا مريضا من الأصل

فيتفاقم مرضه من سريان السم فى دمه

ونحن نرجو ألا يقتصر نشاط وزارة الصحة على مطاردة الأطعمة الأجنبية . فاننا نحب أن نكون وطنيين وأن نقول بإيثار الأطعمة المصرية على الأجنبية وهذا بالفعل هو مايجب ليس خدمة للوطنية بل للصحة أيضا . فان الأطعمة الوطنية تمتاز بأنها طازجة ساذجة ولكن اذا كان هذا هو الأغلب فانه ليس العام . فان صانعى الجبن فى مصر قد تعلموا الحيل الاجرامية لمنع التعفن وقتل الديدان فى الجبن باضافة السموم أيضا . ولما زار مفتش الصحة مصانع دمياط كتب تقريرا يقول فيه أنه لم يجد مصنعا لايضيف المواد المعقمة أى السامة الى الجبن

وهنا خطر يجب أن تنتبه له وزارة الصحة ويجب أن تطلب من البرلمان سن قانون جديد ينص على غرامة فادحة نحو الف جنيه أو اكثر على كل من يضيف سما الى الجبن أو الزبدة . ومثل هذا القانون يحثنا على شراء الجبن والزبدة المصريين لاننا نطمئن الى خلوهما من المواد المعقمة أى السامة. وهناك من يعتقد أن كثرة وفيات الاطفال فى مصر تعود الى خلط الجبن بهذه السموم التى تضاف أيضا الى الزبدة والقشدة

وهناك سموم أخري يذهب ضحيتها الاطفال دون البالغين هى هذه الحلوى المصبوغة بالاحمر والاصفر والاخضر وغيرها من الالوان التى تجذب نظر الاطفال . فان كل هذه الاصباغ سموم لاغش فيها . ويمكن الكيماوي أو الصيدلى البسيط أن يأخذ رطلا من أحد الدكاكين يحتوى أصناف الباستيليا ويستخرج منها هذه الاصباغ ويقدم منها سما قويا لقتل أى انسان . بل هذه الحلوي نفسها قد لاتكون محلاة بالسكر وانما بالسكرين وهو أيضا مادة سامة

ان على رأس وزارة الصحة صاحب المقام الرفيع وفى وكالتها البرلمانية رجل من أنشط رجالنا وأذ كاهم هو الدكتور حامد محمود ولذلك يجب أن نطمع فى اصلاحات كثيرة على يديهما وفى مقدمة هذه الاصلاحات تأمين الطعام الذى نأكله وخاصة مايأ كله أطفالنا . فان من الشرور الفاضحة أن يطلب الانسان الصحة لأهله وأولاده فيري انه يشترى لهم السم من حيث لايدرى ويقتلهم بيديه وهو يريد لهم العافية والبقاء . وكل هذا لكى يربح تجار أجانب لاضمير لهم أو تجار مصريون لاضمير ولا وطنية لهم

ولم نذكر اللبن لأن معضلته أكبر جدا من سائر الاطعمة فان باعته لايضيفون اليه سما ولكنهم يعمدونه بالماء كل يوم ولا يبالون حتى هذا الماء نظيف هو أم قذر . وعندنا أن قتلى اللبن المغشوش أكبر عدداً من قتلى الخمور والمخدرات والاتومبيلات . والحكومة التى تعنى بمنع القتل يجب أن تبدأ بمنع القتل من اللبن المغشوش

المتعلمون العاطلون

تسعى وزارة المالية بكل مالديها من قوة لتوظيف الشبان المتعلمين إما فى مكاتب الحكومة وإما فى الأعمال الحرة . وكان آخر ماقامت به هذا الاسبوع أنها أرسلت الى وزارة الاشغال تطلب منها بيانا عن أسماء البيوت التجارية والشركات المختلفة التى تعاقدت معها فى مقاولات بشأن المشروعات التى نصت المعاهدة على القيام بها . وهى أى وزارة المالية تنوى مخاطبة الهيئات وتنبيهها الى استخدام الشبان المتعلمين

وهذا سعى حسن ولكنه فى اعتقادنا قليل الجدوى . فان هذه الشركات لن تحتاج إلا الى عدد صغير من الشبان المتعلمين . وعلى ذلك سيبقى بيننا هذا الجيش الذي أخرجته مدارسنا وسلمته وزارة المعارف شهادات الانتهاء من التحصيل وهو عاطل عن العمل

وأصل العقدة والسبب لهذا العطل أن هؤلاء الشبان تعلموا فى الاكثر دروسا ثقافية لاتهيئهم لان يحترفوا حرفة ما تغل لهم ربحاً . أو هم قد ازدحموا على ثلاث أو اربع حرف مثل المحاماة والطب والتجارة . وهذا الازدحام قد منعهم من التكسب منها

ونحن لم نقرأ بيانا عن الشهادات التى يحملها العاطلون عندنا . ولكننا نؤكد أن ٨٠ فى المائة لاتخرج عن البكالوريا بقسميها . وهذه شهادة ثقافية لاتؤهل أحدا لعمل ما . أما العشرون الباقية فمنها على الاقل ١٥ فى المائة لاتخرج عن شهادات جامعية فى الحقوق والآداب والتجارة . وشهادة الحقوق لاتعنى فى العمل الحر سوى المحاماة . وهذه حرفة مزدحمة . وشهادة الآداب لاتعنى من حيث الحرفة سوى التعليم وهى أيضا مزدحمة وكان يمكن التوسعة على حامليها لو أن تعليم اللغة العربية فى المدارس الابتدائية والثانوية قصر عليهم إذ هم اكفأ من يستطيع ذلك . أما شهادة التجارة فلا تؤهل أحداً لأن يكون تاجراً وهى شهادة ثقافية اكثر منها حرفية

ومن عجب ان يكون لدينا عاطلون فى الوقت الذي تستوعب فيه بلادنا ربع مليون أجنبى ليس بينهم عاطل بل أن كثيرا من نساء هؤلاء الاجانب وأوانسهم عاملات وربما يكون فى هذه الظاهرة مايدلنا على أن العمل والعطل لايتوقفان على التعليم المدرسي وحده بل على الأخلاق أيضا . فان كثيرا من هؤلاء الأجانب لم يحصلوا على تعليم يعادل ماحصل عليه شباننا ومع ذلك هم أقدر على الحصول على العمل واثبت فيه اذا ماحصلوا عليه

فهل يجب أن نلتمس بعض أسباب العطل فى أخلاقنا هذه الاخلاق التى اكتسبناها من الأمم المحجبة المسكينة التى لم تعلمنا الجراءة وهذا البيت الذي لم يكن يعرف النظام وهذه العقائد التى نشأنا عليها فى احتقار عمال هى أشرف الاعمال فى الدنيا ؟ ان مما لاشك فيه أن الشاب الاجنبي أرشق قواما من الشاب المصرى وهو لا يمكنه أن يقرأ فى الانجليزية أو الفرنسية كتابا فى الفلسفة ولكنه يرطن بها بطلاقة لايستطيعها الشاب المصرى . وهو يقدم على فتح دكان لبيع الشربات أو الجوارب أو الاوانى الصينية أو القهوة ولكن الشاب المصرى يخجل فى أحيان كثيرة من ذلك. واذا استمر هذا الضعف الاخلاقى بيننا فانه يمكن الاجانب أن يزيدوا عددهم الى نصف مليون وأن يجدوا العمل بيننا فى حين يبقى شبابنا عاطلين

ولكن بعد هذا يجب أن نقول أن وزارة المعارف لم تساعد الشباب المصريين على التهيؤ للعمل. وانما هى فى الحقيقة ساعدتهم على أن يكونوا عاطلين . فان التعليم فى جميع أقطار العالم ينقسم قسمين أحدهما التعليم الثقافى الذى ينتهى بالجامعات . والآخر التعليم الحرفى وهو فى العادة لا يرتفع مستواه كثيرا لأن الغاية منه تخريج الشباب لكى يعملوا ويكسبوا فيجب أن يخرجوا قبل سن العشرين وخاصة لانهم من أبناء الطبقات الفقيرة . وفى هذه الدنيا اكثر من أربعة آلاف صناعة يحتاج اليها المتمدنون كثيرا أو قليلا وبعض هذه الصناعات لايحتاج من الوقت للتعليم أكثر من بضعة أشهر وبعضها يحتاج الى بضع سنوات . وكان يمكن الوزارة بطريق المجالس المحلية أن تؤسس مئات من هذه المدارس الليلية والنهارية . ولكنها لاتفعل بل نحن نخشى إن هى فعلت أن تستحيل هذه المدارس الى مشروعات ضخمة تحوى ألوانا من الابهة الشرقية ليس فى البناء فقط بل فى مرتبات المعلمين والمفتشين . مع أن كل ما نطلبه أن يتعلم شبابنا كيف يرطنون بمائتى كلمة فرنسية تساعدهم على أن يتحدثوا مع الزبون فى متجر للملابس أو كيف يذهبون الخشب أو كيف يصنعون البسطرمة أو كيف يديرون مطعما رخيصا لا يزيد رأس ماله على مائة جنيه أونحو ذلك من الاعمال التى يستطيع حامل البكالوريا أو حتى الكفاءة أن يقوم بها اذا لم تقف أمامه هذه العقبة الاخلاقية التى ورثها من البيئة الاجتماعية الحاضرة وهى التى تجعله يخجل من ممارسة هذه الاعمال الشريفة

آلات الحرب

نشرت جريدة نيويورك تيمس احصاء عن القوات الحربية عند الدول ننقله فيما يلي

الدولة	الجيوش البرية	الطائرات	البوارج بالطن
بريطانيا	٢٠٠٬٠٠٠	١٬٦٠٠	١٬١٩٢٬٠٠٠
فرنسا	٧٠٨٬٠٠٠	٣٬٠٠٠	٥٥٦٬٠٠٠
روسيا	١٬٣٥٠٬٠٠٠	٤٬٠٠٠	٢٠٠٬٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	١٦٤٬٠٠٠	٦٠٠	
رومانيا	٢٢٠٬٠٠٠	٧٠٠	
يوغوسلافيا	١٣٢٬٠٠٠	٦٠٠	
بولونيا	٣٣٢٬٠٠٠	٥٠٠	
بلجيكا	٩١٬٠٠٠	٢٥٠	
المانيا	٦٥٠٬٠٠٠	١٬٣٠٠	١٣٢٬٠٠٠
ايطاليا	١٬٠٠٠٬٠٠٠	١٬٥٠٠	٤١٢٬٠٠٠

وهذه الارقام قد تدل على الكم فقط : ولكنها لا تدل على الكيف . فان الجيوش البرية الآن لا تكاد تعرف المشي على الاقدام أو حتى ركوب الخيل لأن الاتومبيل والاتوسيكل ينقلان الجنود الى ميادين القتال كما تنقل الطائرات المهندسين والضباط الى المراكز المفتاحية في هذه الناحيه او تلك من القطر المحارب

بل هذه الارقام التي نقلناها عن الجريدة الامريكيه لا تدل على ما سوف تكون عليه الحرب القادمة من حيث الكم . فان كل امة تزيد قواتها . وتتهيأ المانيا الآن يكون لها عشرة الاف دبابة و ٧٥٠٠ طائرة كما ان بريطانيا قد خصت ١٥٠٠ مليون جنيه لزيادة الطائرات والبوارج

وقد كان عدد المدافع في الحرب الكبرى أربعة لكل الف جندي : ولكن في الجيوش القائمة الآن ثمانية لكل الف جندي . وقد تمكن الالمان في الحرب الماضية من ضرب باريس بالمدافع وهم على مسافة ٧٠ ميلا منها والان يمكن اصابة الهدف على مسافة لا تقل عن مائة ميل · واستطاع الالمان

ان يخترعوا جهازا لاطلاق المدافع وتسديد الرماية وهم بعيدون عنه مختبئين فى الخنادق : وفى اليوم الذى جربت فيه هذه التجربة ونجحت فى «المانيا» اعلنت روسيا بالمذياع عن نجاح التجربة الالمانية وهنأت المهندس الذى اخترع هذا الجهاز ثم اعلنت أيضا ان لديها اختراعا آخر افضل من هذا الاختراع

ومعنى هذا ان لروسيـا جواسيس تنقل اليها حركات الجيش الالمانى وانها تستعد لحرب قادمة استعدادا مخيفا

والطائرات عنصر جديد فى الحروب . وهى تهدد المدنيين اكثر مما تهـدد الجيش لأن الطائرة يمكن أن تقطع ٤٠٠ ميل فى السـاعة. وكل من روسيا والمانيا تعود الشبان النزول بالباراشوت . ويمكن عشرة الاف طائرة ان تنقل فى اليوم بهـذا الاسلوب نحو خمسين الف جندي يستولون علي مفاتيح الميادين الحربية أو يخربون السكك الحديدية او الجسور او يحطون خلف الجيش المحارب لمنع تقهقره . وبعض الطائرات الان تحمل اثنى عشر طنا . فاذ فرضنا هذا الوسق مادة بشرية فانها تعنى على الاقل ١٥٠ جندى مجهز بأثقل الاسلحة ينزلون من الطائرة فى مكان محصن وفى حماية الظلام ثم يكون منهم البلاء بعد ذلك : وهـذا بالطبع غير قنابل جهنمية تلقى على المدن والمخازن للتدمير ولبعث الثورة الاهلية

وللغازات شأن اخر يفوق شأن القنابل. فان فى الغاز صفات تشبه الحياة لأنه يبقى أياما فى المكان وهو يقتل كل من يقترب منه حتى تكتسحه الرياح . وهو لذلك اضر فى المدن التى يحتبس فيها الهواء بين الشوارع والازقة مما هو فى الريف . وقد كتب كثيرا من وسائل الاحتماء ن الغازات . وكل ما كتب — فى رأى البعض —هو هذيان لاقيمة له اذليس هناك أية وسيلة للاحتماء من الغازات

وقد بلغ عدد الاصابات فى الحرب الماضية

قتلى ٩،٦٩٩،٧٧١

جرحى (بخطر) ٦،٢٩٥،٥١٢

جرحى (بلا خطر) ١٤،٢٠٠،٠٣٩

مفقودين واسرى ومشوهين لاتعرف اصولهم ٥،٩٨٣،٦٠٠ قتـلى الانفلونزا سنة ١٩١٨ — ١٠،٠٠٠،٠٠٠

فالمجموع هو ٤٦ مليونا لحرب تعد غير خطيرة اذا قوبلت بالحرب القادمة

متى نكف عن الابهة الشرقية

أقام المجلس البلدي فى الاسكندرية منذ أكثر من سنتين حماماً مجانياً يدخل فيه الرجل الفقير فيجد الصابون والماء الساخن والبشكير «والذي يبحث المجمع اللغوي عن أسم عربى له» وهو عند ما ينزع ملابسه تؤخذ منه لتبخر أى تعقم وتعاد اليه بعد استحمامه . فيخرج من الحمام وهو نظيف جسما وملابس

وهذا الحمام هو لون من ألوان البر التى نرجو أن تنصرف اليه الحكومة والأمة معاً . وهو بر غربى يفهمه الاوربى ويدعو اليه ويؤسس له المؤسسات . ولو كان فى القاهرة نحو عشرة حمامات من هذا الطراز لما عرفنا هذه الحمى القاتلة التى تسمى التيفوس والتى لا تحتاج من الوقاية إلا الى النظافه أى قتل القمل . والرجل الذى يفكر فى انشاء الحمامات وتوفير الصحة للسكان هو رجل متمدن مهما كان الحمام متواضعاً خالياً من الزخارف . ولكن الرجل الذى يطلب الابهة الشرقية بالبناء الفخم والزخارف اللامعة والاعتماد على ذوى الاسماء هو رجل غير متمدن

فقد حدث قبل أشهر أن أميرا هنديا دعا اللورد لنلنجو نائب الملك فى الهند الى تناول الشاى ولكى يبدى له أحترامه غلى ماء الشاى على ورق البنكنوت فكلفه فنجان الشاي نحو ١٠٠ جنيه فهذا العمل أبهة شرقية سخيفة . وتزداد سخافتها وضوحاً عندما نعرف أن الهند أفقر أمة فى العالم وأن فنجان الشاى هذا كان يمكن أن ينفق ثمنه على أنقاذ بضعة أطفال هنود من الموت . ولا بد أن اللورد لنلنجو كان آسفا على هذا المال يحرق تحت ابريق الشاى ولكن حياءه منعه من أن يبصق على وجه هذا الامير أو يلطمه على قفاه

ونحن نود أن تكون عقليتنا عقلية المجلس البلدى فى الاسكندرية وليست عقلية هذا الأمير الهندي . أى أننا نود أن نفكر قليلا جـــدا فى مفوضية ننشئها فى الصين أو فى أسم عربى نسمى به الملاريا ولكن يجب أن نفكر كثيرا جدا فى مساكننا القذرة وأطفالنا الذين يموتون كالذباب وفى شبابنا الذين يمرضون ولا يجدون العمل الرابح ، أجل يجب أن نفكر فى التعليم الصحيح لابناء الريف وفى مكافحة الامراض وفى ايجاد الروح الديمقراطى العملى بحيث يشعر الفلاح أنه من أبناء الامة لا يختلف من الإفندي فى الحقوق والواجبات . وخير من انشاء مفوضية فى طهران أو بكين أن ننشىء حماما للفقراء فى السيدة زينب . وخير من أن نسمى الملاريا باسم عربى

أن نعالجها

اننا أمة فقيرة بل غاية فى الفقر المدقع وليس فى طاقتنا أن نتحمل عادات الابهة التى دعانا اليها المستبدون فى الماضى . وحسبنا من هذا الفقر المدقع أننا أصبحنا كلنا مرضى لا يكاد يبلغ الاصحاء بيننا عشرة فى المائة بل لعلهم أقل من ذلك اذا حسبنا أمراض العيون . وهذا الفقر (الذى يجعل طعامنا الوطنى الذى يأكله منا نحو اثنى عشر مليون مصرى هو البصل والذرة) يتضح على أشنعه حين نقابل بين ثروتنا وبين ثروة أمة أخرى مثل استراليا . ففى هذه القارة نجد ستة ملايين ونصف من السكان يزرعون ... ر ٤٠٠ و ٢٢ فدان أي أربعة اضعاف مانزرع . وعندهم ... ر ٢٣ مصنع و ... ر ٢٧ ميل من السكك الحديدية . وقد استطاعوا أن ينفقوا فى الحرب الكبرى ٨٣١ مليون جنيه مع أن مائة مليون جنيه جعلتنا نفلس فى أيام اسماعيل . وهم يحصلون من الغنم وحدها على ما تبلغ قيمته ٤٣ مليون جنيه من الصوف . ويمونون العالم بالقمح . ويبيعون من الزبدة ما تبلغ قيمته ٢٠ مليون جنيه . وهذا غير مشتقات اللبن الاخرى وغير اللحوم وغير المصنوعات . ومع هذه الثروة الضخمة لا تفكر استراليا فى منشئات الابهة التى شاعت عندنا ولكنها تفكر فى التأمين الاجتماعى لعمالها حتى لا يجوع عاطل وهى تنشىء الهيئات التى لا تسمح لأحد العمال بأن يربح أقل من ١٥ جنيهاً فى الشهر . وقد استطاعت استراليا بهذا التفكير الديمقراطى العملى ان تنزل بالوفيات عندها الى أصغر رقم

ان خيالنا عن المجد الوطنى فاسد . لاننا لن نكون أمة عظيمة بالابهة بل نكونها بالخدمة . فلتكن لنا برامج لتحقيق المجد الوطنى . منها برنامج لتعميم النظافة بانشاء الحمامات المجانية . وبرنامج لترقية الطعام من الذرة والبصل الى القمح واللحم . وبرنامج لهدم المنازل القديمة وانشاء المنازل الجديدة وبرنامج لتعميم الاحذية بين الحفاة . وبرنامج لاطعام اللبن بالمجان لتلاميذ المدارس الخ

ولو فعلنا ذلك لما بقى شىء ننفقه على الابهة الشرقية التى لم يبعثها بيننا غير الخيال الفاسد الذى لم تخصبه ثقافة ولم تغذه المبادىء السخية للروح البشرى

الغرض من تحديد النسل

لكى نكافح الموت فى مصر يجب أن نحدد النسل وندعو الامهات من الاقلال من الحمل فان الموت لا ينتصر فى العالم كله كما ينتصر فى مصر أى أنه ليس فى العالم كله أمة – حتى ولا الهند – يموت فيها الناس بمقدار ما يموتون فى مصر . والسبب لذلك اننا نلد كثيرا فيموت اطفالنا كثيرا

فدعاة التحديد للنسل لا يقولون بهذه الدعوة للنزق أو لقلة الوطنية اومخالفة الدين بل لضدهذه الاشياء بالذات . فانهم يطلبون هذا التحديد لانهم ينظرون الى النسل نظرة جدية بعيدة عن المجانة ولأن الروح الوطني بل الروح الديني قوى فيهم بحيث لا يطيقون رؤية الموت منتصرا بين بين أبناء وطنهم .

وهم لا يبنون هذه الدعوة على الكلام الفصيح والعبارات البليغة بل على الاحصاءات الدقيقة فان بلادنا أكثر اقطار العالم مواليد وهى أيضا أكثرهن وفيات . واليك هذه الارقام التالية التى تدل على متوسط المواليد فى كل الف من

السكان بين ١٩٢٦ و ١٩٣٠

مصر	٤٤ر٤
الهند البريطانية	٣٥ر٧
اليابان	٣٣ر٤
ايطاليا	٢٦ر٨
الولايات المتحدة	١٩ر٧
فرنسا	١٨ر٢
أسوج	١٥ر٩

فمن هذه الارقام يتضح أننا نلد أكثر مما يلد الاسوجيون ثلاث مرات تقريباأى أن الام فى مصر تلد ثلاث ولادات لكل ولادة واحدة تلدها الام الاسوجية

ثم ماذا يكون بعد ذلك ؟ لو كان هؤلاء المولودون يعيشون وينالون من التربية - تربية الجسم والنفس والعقل - مثلما يناله المولودون فى أسوج أو غيرها لكان لنا أن نغتبط وأن نقول أن جهد الامهات فى مصر يثمر الثمرة الصالحة . ولكن الحال عكس ذلك . ويكفيك أن تنظر فى الأرقام التالية عن الوفيات فى كل الف من السكان

مصر	٢٦ر٢
الهند	٢٦
اليابان	١٩ر٥
ايطاليا	١٦
الولايات المتحدة	١٢
فرنسا	١٦ر٧
اسوج	١٢ر١

فنحن أكثر أقطار العالم وفيات لان كثرة النسل تجعل عناية الام تقل بابنائها وجهدها فضلا عن مالها — ينصرف الى الكثير من الاولاد فيتبعثر بدلا من أن ينحصر فى عدد صغير فيؤدى الى النتيجة المحمودة . ثم تنحط بعد ذلك صحة الام التى يعجز جسمها فى كثير من الحالات عن تحمل مشاق الحمل المتوالى . بل هى قد يذهب جمالها لهذا السبب نفسه فتتراخى العلاقة الزوجية . واذا لم يمت الطفل فانه ينشأ فى بيئة يحوطها الضيق الاقتصادى الذى كان يكون رخاء لو كان عدد الاولاد قليلا . وهذا الضيق الاقتصادى يجعل الآباء عاجزين عن تربية أبنائهم سواء فى المدرسة أم فى البيت وسواء تربية الجسم أم تربية العقل والنفس

والمتأمل لهذه الارقام يجد تقابلا . فانه حينما تزيد المواليد تزيد أيضا الوفيات وحينما تقل تلك تقل هذه . ولا سبب لذلك الا أن الجهود تتوافر فى العناية بالقليل وتتبعثر فى العناية بالكثير . وخير لمصر ان تتشبه بفرنسا وايطاليا والولايات المتحدة وأسوج من ان تتشبه بالهند والصين وسائر الامم التى يجتاحها القحط

فيجب ان نعلم الناس الطرق السليمة لمنع التناسل . وقد قامت حكومتنا بشىء من هذا المنع أو التحديد عندما عينت سنا للزواج لا يمكن ان يتم العقد الشرعى دونها . فان تأخير الزواج يقلل النسل ويزيد العناية به معا

ولكن تعميم الثقافة الجنسية التى تعرف الشبان طرق المنع تجرئهم على الزواج الذى يخافونه الآن خشية كثرة العيال . فتحديد النسل هو من هذه الناحية دعوة الى الزواج كما هو دعوة الى صحة الامهات والى مكافحة الموت — هذا الموت الذى لا يجد ارضا فى العالم ينتصر فيها كما ينتصر فى مصر

مصر فى عصبة الامم

كان يوم فوز للعصبة ويوم فوز لمصر . . فاما العصبة فقد وجدت بعد مأساة الحبشة بل على الرغم من هذه المأساة انها لا تزال معدودة امام العالم أملا مجسما للتضامن البشرى والسلام العام وأما مصر فلأنها قد اكتسبت بالعضوية مكانة جديدة ليس فى اعتبار الدول فقط بل فى اعتبار نفسها كدولة مستقلة تحترم نفسها ولا ترضى سوى المنزلة العليا بين اقطار العالم

ومركزنا الجديد فى سويسرا هو خطوة بل خطوات الى الامام . فان سويسرا قد اختيرت دون سائر اقطار أوربا لكى تكون وطنا لعصبة الامم التى تدعو الى تغليب العالمية على الوطنية . وانما اختيرت لذلك لانها أمة عالمية تمتاز بثلاث لغات وطنية وبأنها كانت ولا تزال وطنا للحرية عاش فيها

فولتير هاربا احيانا من وطنه كما عاش فيها احرار الروسيين الذين كانت تطاردهم القيصرية . بل لقد عاش ومات فيها محمد فريد بك لاجئا اليها من طغيان الاستعمار . وقد كانت ولا تزال رمزا للتضامن الاجتماعى بين الدول اذ لم تعتمد قط على قوة جيشها لحماية ارضها مع أنه تحيط بها ثلاث دول قوية هى ايطاليا وفرنسا والمانيا . وكل واحدة منهن قادرة على اكتساحها فى اقل من اربع وعشرين ساعة . وانما تحتفظ سويسرا باستقلالها بما يشبه هذا التضامن البشري الذى تدعو اليه العصبة القائمة فى جنيف والذى كانت سويسرا تقوم على مبادئه قبل انشاء العصبة

وانضمامنا الى العصبة سينتقل بنا من النظر القروي للسياسة الى النظر العالمى . بل اننا سوف ننظر الى مشاكلنا الداخلية فى ضوء الاصلاحات الاجتماعية الحديثه وعلى مبادىء الروح العصرى واسوأ ما ننظر به امة الى نفسها هذا النظر القروى الذى يملأها زهوا كاذبا ورضا عن حالها مهما كانت شقية . فانها بهذا النظر تنعزل عن العالم وتعيش فى انفراد ذهنى فلا تشترك فى حركة الرقى العام بل هى تنظر الى هذه الحركة كأنها بعض البدع الكريهة التى يجب ان تنفر منها . وقد كنا الى حد ما فى هذا الموقف لا نشارك الامم المتمدنة فى نهضاتها

واقرب مثال على ذلك هذا النفور العنيف من الحرية الفكرية وهذا الخوف من اتخاذ القبعة بل هذه القناعة بالادب العربى كانه الموسوعة الكاملة للذهن البشرى . فان هذه الاخلاق انما تنشأ من الانعزال وقد أطلقنا عليها وصف «النظر القروي» لانها اخلاق سكان القرية الذين ينحصر نظرهم الدنيا فى حدود قريتهم

وانضمامنا الى عصبة الامم جدير بان يوسع آفاقنا الذهنيه ويجعلنا نفكر فى السياسة والاجتماع والآداب ونقيسها بالمقاييس العالميه المتمدنه وان تسخو عواطفنا الى قبول الآراء المختلفة مهما كانت غريبة عن عاداتنا ومألوفنا وان نتخذ الطرق التى اتخذتها الامم فى معالجة مشاكلها دون ان نسمع لقول المعترضين . هؤلاء غربيون ونحن شرقيون . فان عصبة الامم قد انشئت لالغاء مثل هذا الاعتراض ولتعميم مبدأ التضامن البشرى لافرق فى ذلك بين غربى وشرقى . واقل نتائج الانضمام للعصبة أننا حين نطلب اصلاح المساكن أو العناية بالغذاء لعمالنا فاننا لن نواجه بالاعتراض القائل بان البيئة الاوربية غير البيئة المصريه . فاننا قد اصبحنا مرتبطين بمكتب العمل — الذى هو فرع من فروع العصبة فى جنيف — ومن الحسن ان نأخذ حذرنا ونصلح الاحوال التى يعيش فيها عمالنا قبل ان ينشر هذا المكتب عنا تقريرا واضحا يطالبنا فيه بالاصلاح

وبعد هذا سنجد من عصبة الامم ضمانا لنا يمنع الدولة المجرمة من الاعتداء علينا . ولسنا نجهل أن هذا الضمان تعوزه القوة المادية كما حدث فى الحبشة ولكن له قيمته مع ذلك . كما ان الاعتداء

على الحبشة قد كان بمثابة التجربة الاولى التى ينتفع بها للمستقبل والتى تستفاد منها الدروس للعبرة كما ان انضمامنا للعصبة قد فرض علينا واجبا للعالم هو صيانة السلم العام . وفى طور العام الحاضر وفى ظروفنا المحيطة نعتقد اننا نخدم هذا السلم أحسن الخدمه اذا نحن عنينا بتقوية الدفاع عن وطننا فان هذه التقوية تقلل من مطامع السياسيين الذين جنوا بالمذاهب الامبراطوريه

وهناك شيء أخر يستحق الالتفات فان عصبة الامم يناقض وجودها السياسة الدبلوماتيه التى تقوم بها المفوضيات. ذلك أن العصبة للصراحة والعلنية والسلم. والمفوضيات كانت ولا تزال وسيلة السياسة المظلمة السرية . وما دمنا قد انضممنا الى العصبة فاننا يجب أن نقلل من شأن الاهتمام بالمفوضيات



فهرست

يوليه سنة ١٩٣٧

الاشتراك فى هذه المجلة

مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وسنتين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً

وخارج القطر (داخل الاتحاد البريدى) ١١ شلناً للسنة و ٢٠ شلناً لسنتين و ٣٠ شلناً لثلاث سنوات

ويجب إضافة ١٠ قروش (شلنين) فى السنة لكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار (مكتب بريد الدواوين) مصر